17 em Année No. 816 — Lundi — 21 — 2 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٨١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٢١ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

خاطـــــرة ...

التاريخ مادته عمل ابن آدم وقوله . وابن آدم حيوان كذاب ، لا يقول الحق على نفسه ، ولا ينقل الصدق عن غيره . والذين أولعوا بتسجيل أعماله وأقواله من كل لون وجنس ووطن وزمن هم من سلالة خُرافة . وخرافة فيما زعموا رجل من أعراب جُهينة اختطفته الجن فلبث فيهم زمناً ثم رجع إلى قومه وأخذ يحدثهم أعجب الأحاديث مما رأى فكذبوه . ثم صار الناس يسمون كل حديث مستملح من الكذب حديث خرافة . والأقرب فى نفسى أن يكون خرافة هذا رجلا رغّاء يعجبه أن يتحدث ويلذه أن يسمع الناس . فلما فرغ ما عنده من صَرف الحديث وزخرف الرواية أخذ يصوغ الأخبار، وينسج الأقاصيص ، ويصنع الأساطير ، ويبتدع النوادر ، ويختلق العجائب ، وينسب ثمرات فنه إلى وادى عبقر وسكانه من الجن ليكون الحديث أعذب ، والخبر أغرب ، والتصديق أقرب . ومن طبيعة أكثر الناس تزيين الكلام والزيادة فيه ، فلا تجد إنساناً ينقل حادثاً أو يروى حديثاً إلا دخل فيه برأيه وذوقه ومنفعته وهواه ، فيغير ويزور ويموه وينمق ، لا فرق فى ذلك بين جاهل وعالم ، ولا بين فرد وجماعة ، ولا بين شعب وحكومة .

يقع الحادث اليوم بمرأى من الناس ومسمع ، فتحكيه الألسن وترويه الصحف ، فلا تجد لساناً يوافق لساناً ، ولا صحيفة تطابق صحيفة ، وتقرأ صحف العاصمة فى حادثة من حوادث المدن ، أو واقعة من وقائع الأقاليم ، أو أمر من أمور العالم ، فتجد له فى كل جريدة رواية تناقض كل رواية ، وصيغة تعارض كل صيغة ، حتى ليبلغ الخلاف بينها حد التنافر ، فتراها مثلا يوم الأحد الماضى تجمع على أن الشُّرط اكتشفوا فى شارع من شوارع القدس لغما من البارود ؛ ولكن (البلاغ) تنفرد بأن الذى كشفوه منجم من الرصاص !

وتجلس فى قهوة من القهوات فتسمع من الأفواه أصل الخبر وقد نبتت له فروع ؛ ثم تسمعه فى قهوة ثانية فإذا الفروع قد نبتت بها أغصان ؛ ثم تسمعه فى قهوة ثالثة فإذا الأغصان قد نبتت لها أفنان ؛ ثم تسمعه فى قهوة رابعة فإذا الأفنان قد خرجت منها أزهار مختلفة الأشكال والألوان ، فلا ينقضى النهار حتى تمسى بذرة الخبر دوحة راسخة الجذور ، باسقة الذرى ، وارفة الظلال ؛ أو قصة بارعة الخيال ، رائعة العرض ، شائقة الحبكة ، فيها للحزبية مغزى ، وللشيوعية مرمى ، وللفضولية مسلاة .

وتشهد قضية من القضايا فى المحكمة فتجد فى الجناية التى ترتكب فى سَواء الطريق وفى وضح النهار ، من شهود النفى مقدار ما تجد من شهود الإثبات ، أولئك يفندون ، وهؤلاء يؤيدون ، والقاضى أمام هذه الأيمان الكاذبة والأقوال المتضاربة لا يملك للحق من الباطل إلا أن يفزع إلى توفيق الله فيخلّص بين الصحيح والفاسد بعقله ، ويوفق بين القانون والعدل باجتهاده .

وتحضر مجلس العدل أو مجلس الأمن فتسمع الحقائق تنكر الحقائق ، والوثائق تكذب الوثائق ، والكتب البيض والزرق والخضر والصفر فى دولة ، تقف من أمثالها فى دولة أخرى موقف الكاذب من الكاذب ، والثالب من الثالب ، يدفع كل منها الآخر بما حشد من شهود وجمع من أدلة وساق من وقائع !

هذه مصادر التاريخ اليوم والكتابة شائعة ، والتسجيل منتظم ، والعمران متصل ، والمواصلات سريعة ، والاستخبار صناعة مستقلة وفن قائم ، له وسائله التى تمين عليه ، وشركاته التى تستبق فيه ،

الجديد فى المشكلة الألمانية

للأستاذ عمر حليق

ألمانيا هى لولب السلم والاستقرار والرخاء فى القارة الأوربية إجمالا ، فإنتاجها من الصناعة الثقيلة والفحم والمواد الخام الأخرى ، ومبادلتها هذا الإنتاج مع الدول الأوربية المجاورة ، بالإضافة إلى حيوية الشعب الألمانى وتأصل الروح العسكرية فى بنيه ، يفرض على المهتمين بالشئون الدولية مراقبة كل تطور يلم بالمشكلة الألمانية باهتمام خاص . فإن الظروف التى أحيط بها الألمان فى أعقاب هزيمتهم ظروف مؤقتة تتلاعب بها مصالح متنافسة بين الروس وحلفاء الغرب مما يهيىء لشعب واع كالشعب الألمانى أن يستفيد من حدة هذا التنافر كما حدث له فى أعقاب الحرب الأولى

فى الأشهر الأخيرة ألم بالمسألة الألمانية أحداث هامة . فقد أعلن حلفاء الغرب فى مناطق احتلالهم مشروعين رئيسيين يتوخيان إنهاء حالة الاحتلال العسكرى فى ألمانيا والعمل لإنشاء دولة ألمانية مقيدة الصلاحية فى شؤون الدفاع والسياسة الخارجية ؛ لكنها صلاحيات واسعة فى الشؤون الإدارية والاقتصادية والفكرية إلى حد ما . وهذا التطور يعنى أن الألمان منذ هزيمتهم الأخيرة يعطون الفرصة لإعادة ما يتصورونه من كيان يتفق مع حاجاتهم ومصالحهم ونزعاتهم . وأحد هذين المشروعين يتعلق بتصفية الخلاف بين حلفاء الغرب أنفسهم حول المنطقة الصناعية الألمانية الهامة فى الرور ، وهذا يعنى أن عقبة كبرى فى وجه الحكم الذاتى لألمانيا قد زالت فى منطقة حلفاء الغرب على الأقل .

أما المشروع الآخر فيتعلق بأنظمة الحكم والإدارة ومراقبة نمو القومية الألمانية لتسير فى اتجاهات ديمقراطية وتكف عن التمجيد العنصرى الذى مكن للنازية سرعة النجاح ، وجعل العسكرية البروسية نظاماً تقليدياً هو المحور الذى يدور حواليه الألمان باحثين عن مخرج لأزماتهم النفسانية والاقتصادية .

والدراسات المتوفرة عن حاضر ألمانيا تشير إلى سرعة نمو القومية الألمانية نمواً عنيفاً حاداً . وهذا ما دفع حلفاء الغرب لأن يصوغوا الأنظمة والبرامج التى يضعونها للحكم الذاتى في ألمانيا فى قوالب تحارب هذا النمو وتسعى جدياً للحد من عنفه وتوجيهه توجيهاً إنشائياً يتفق ومصلحة الحلفاء والديمقراطية التى يتوخون تثبيتها فى أواسط أوربا . والسلاح العلمى الذى يستعمله حلفاء الغرب لتوجيه هذا الانفعال الألمانى هو إعادة « تثقيف » الشعب الألمانى على أسس الديمقراطية الغربية .

أما السوفييت فى منطقة احتلالهم من ألمانيا الشرقية ، فإنهم يتبعون برامج تطبيقية عملية لبلشفة ذلك الجزء من ألمانيا بنفس الوسائل التى اتبعوها فى كل شبر من أوربا الشرقية التى خضعت لنفوذهم ، فى بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا ودول البلطيق . ففى ألمانيا الشرقية ألحق الروس أجزاء غنية من الوطن الألمانى ببولندا وتشيكوسلوفاكيا ؛ وأمعنوا فى انتزاع أنياب الألمان العسكرية بنقل المصانع ووسائل الإنتاج إلى روسيا ، واستخدام المهرة من العمال الألمان فيها لخدمة الإنتاج الروسى ، وزجهم مئات الألوف من الجنود الألمان المسرحين فى معسكرات العمل الإجبارى الخفى . هذا إلى توجيه النظم الاقتصادية فى الصناعات الخفيفة والزراعة وأحوال المعيشة اليومية توجيهاً ماركسياً على النحو الذى تتبعه الحكومات الشيوعية فى روسيا ومنطقة نفوذها فى شرقي أوربا . وحلفاء الغرب وإن لم يلجئوا إلى هذه القسوة فى قمع الروح الألمانية ، سعوا تارة بجد وطوراً بغير جد للاحتياط لها على طريقتهم الديمقراطية . فقد أنشأ الحلفاء فى اجتماع عقد فى لندن فى الربيع المنصرم مجلس الدفاع العسكرى لألمانيا وهو يشرف على ثلاث هيئات تفتيشية تراقب الألمان فى نشاطهم العسكرى والصناعى ، وفى بحوثهم العلمية ، إلى جانب الهيئة الدولية لمراقبة الرور التى تحول بين ألمانيا وبين الاستفادة من الفحم والحديد لتنمية الصناعة الثقيلة وهى نوع خفى من الاستعداد الحربى ، وقل من الخبراء بشؤون ألمانيا من يعتقد بأن حلفاء الغرب مستطيعون كبح النمو الألمانى فى الناحية القومية والصناعية والعسكرية .

وأهله الذين فرغوا له . فما ظنك بمصادره يوم كانت الأمية فاشية ، والجهالة غاشية ، والشقة بعيدة ، والأسباب منقطعة ، والألسنة وحدها هى التى تنقل الأخبار من إنسان إلى إنسان ، ومن قبيلة إلى قبيلة ، ومن مدينة إلى مدينة ، ومن قطر إلى قطر ؟

لا يا سيدى ! ألحق أن التاريخ ثروة طائلة هائلة من كذب الإنسان ! فاقرأه كما تقرأ إلياذة هوميروس ، وإنيادة ڤرجيل ، وشهنامة الفردوسى ؛ ولا تلتمس الحق فى أحداث الأرض وأعمال الناس إلا فى الكتاب الذى يخرجه الله يوم القيامة لكل امرئ فيقرأ فيه ما قدمت يداه ، ثم يحاسبه أحكم الحاكمين على مقتضاه !

أحمد حسن الزيات

وحتى فى هذا الطور الحالى من أطوار النمو الألمانى فإن الوعى الألمانى قد أخذ ينفجر عن انفعالات تعزز رأى هؤلاء الخبراء . فقد أضرب مثلا عمال المصانع فى منطقة الاحتلال البريطانية احتجاجا على تفكيك المصانع الكبرى فى تلك المنطقة . والقارئ للصحف الألمانية فى مناطق الحلفاء يلمس بوضوح على الرغم من وطأة الرقابة حدة الانفعال الألمانى واتجاهه نحو هذا النمو القوى فى شتى نواحيه . وإن مهارة العامل الألمانى ووعيه وتركز النشاط الألمانى فى الصناعة والاقتصاد والتشكيل السياسى فى بوتقته القومية الألمانية يجعل « تثقيف » حلفاء الغرب الألمان عملا ضئيل الجدوى

ولكن ألسنة الرأى العام فى المعسكر الإنجلوسكسونى يحلو لها أن تعتقد أن الألمان مكبوح جماحهم بواسطة هاتين السلطتين : المجلس الدولى لمراقبة الرور ، وهيئة مراقبة الروح العسكرية والإنتاج الصناعى والبحوث العلمية . وهذه السلطة الأخيرة مقصورة على الدول الثلاث : بريطانيا وأمريكا وفرنسا .

وقد رأينا أن هيئة المراقبة الحليفة هذه وفروعها التفتيشية الثلاثة محدود نجاحها لأسباب تتصل بصميم الخلق القومى الألمانى ، إلا أن هناك كذلك دوافع « خارجية » تؤثر على مدى هذا النجاح وهى لذلك مصدر صراع للمعنيين بالمشكلة الألمانية

ولما كان النشاط الألمانى الصناعى والفنى حيويا وضروريا لا لانعاش ألمانيا ورفع عبء النفقات المادية عن كاهل دافع الضرائب فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا فحسب ، بل لإنعاش أوربا المحطمة إجمالا ، فإن سلطة الرور الدولية تقيد الإنتاج الألمانى بشروط تلزم الألمان بتصدير جزء معين إلى البلدان المجاورة سواء رضى الألمان أم لم يرضوا ، وسواء فاض عن حاجتهم أم لم يفض ، ومن هذه الشروط كذلك إقصاء الصناع والخبراء الألمان الذين كانوا على صلات وثيقة بالحركة النازية عن وسائل الإنتاج فى الرور وغير الرور .

ويتوجس أعداء ألمانيا خيفة من هذه الحالة . فبالرغم مما يبدو من صرامة فى هذه القيود فإن هناك من يؤمن بأنها لن تكفى لإبادة عزم الألمان على المحاولة مرة أخرى للسيطرة على منطقة نفوذها التقليدية فى أوربا وفى العلاقات الدولية ، وفى الانتقام من عدوين لدودين هما اليهودية المالية ، والشيوعية الدولية . وقد اضطرت سلطات الحلفاء فى الأسابيع الأخيرة لأن تنذر أصحاب الصحف الألمانية مرارا بأن يتفادوا توجيه الانفعال الألمانى توجيها عنصريا ضد اليهود ، وإن كانت قد أغفلت حدة التوجيه الملتهب الوجه ضد الشيوعية لأسباب واضحة . ولكن الألمان أو القوميين المتطرفين منهم على الأقل يمزجون عن وعى « اليهودية المالية » والشيوعية الدولية معا . وبسبب هذا الخوف تواجه سلطات الاحتلال الحليفة فى ألمانيا انتقادات عنيفة من الكتلة اليهودية القوية النفوذ فى الولايات المتحدة وفرنسا كما حدث فى قضية (الزا كوخ) زوجة مراقب معتقل بوخنفالد وما تبع الحكم المخفف عنها من موجة انتقاد وضغط سياسى استدعى تأليف لجنة برلمانية أمريكية للتوصية بإعادة محاكمتها من جديد . ويواجه الحلفاء كذلك تحديا قويا من الاتحاد السوفياتى لإعادة الحكم الذاتى لألمانيا الغربية الذى هو فى الواقع جوهر النزاع الشكلى بين الانجلوسكسون والروس فى المشكلة الألمانية . ولعل هذه المصلحة المشتركة تفسر لنا بعض دوافع التحالف السوفياتى اليهودى فى فلسطين وغير فلسطين حيث يشتد العنصر اليهودى فى كل حزب شيوعى يدين بالولاء لموسكو .

والخوف من بعث ألمانيا لا يقتصر على هؤلاء بل يحسب حسابه الفرنسيون والبلجيكيون والهولنديون الذين أصابهم منه شر عظيم مرتين فى ربع قرن . ولذلك فإن المشكلة الألمانية لا تزال موضوع خلاف على بعض النقاط الجوهرية بين حلفاء الغرب أنفسهم .

وهناك من يشير إلى خطورة برامج الاحتكارات الدولية (الكارتل) لاستغلال المهارة الألمانية فى الإنتاج الصناعى على حساب مستقبل السلم الأوربى على نحو ما حدث فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

ولكن تباين المصالح بين حلفاء الغرب حول البعث الألمانى لم يحل بين صناع السياسة منهم ، وبين تنفيذ مشروعات هامة للانعاش الألمانى .

والخلاصة أن الألمان حين يتركون لأنفسهم سيكون طموحهم لبناء المجد العسكرى واستعادة المركز السياسى والسيطرة الصناعية على أواسط أوربا مقيدا بسياسة روسيا الصارمة فى الشرق وسلطات المراقبة الحليفة فى الغرب .

وكان كلا الفريقين يحاولان انتزاع عود الثقاب من يد الولد الشرير ، وبقى عليهما محاولة انتزاع الشر نفسه . ولعل هذا أصعب المهمتين فى جوهر أس « الإصلاحية » وهم عنه مشغولون بالتناطح

نيويورك

عمر حليق

السري الرفـــــاء

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

— ٢ —

تحدثت فى المقال السابق عن الشاعر الكندى الموصلى السرى الرفاء، وذكرت ما كان بينه وبين الأديبين الأخوين المعروفين بالخالديين من عداوة، وأنه أولع باتهامهما بسرقة الأشعار وضمَّن كثيراً من شعره هذه التهمة. واليوم أعود إلى حديث هذا الشاعر، فأبين عن جانب من الوصف فى شعره كيف سلك فيه وافتن فى نواحيه.

هو شاعر مولع بوصف ما يرى من الحيوان ومناظر الطبيعة وآثار الصناعة. ومما راقنى فى شعره، وصفه خطّافاً عشش فى حجرته، وتكريره هذا الوصف فى شعره ودعوة أصدقائه لرؤيته وعده من محاسن داره. وفى الشعر العربى الجاهلى وصف الحيوان الوحشى والمستأنس، وصف صوره الحسية، ومعيشته وعاداته، والإعراب عن صحبة الإنسان لبعض الحيوان وعطفه عليه، ومشاركته إياه البأساء والضراء، ولا سيما الجمل والفرس. ولست أعرف أدباً آخر فيه الاهتمام بالحيوان ومخالطته ومعاشرته إلى الحد الذى بلغه الشعر العربى. والذى يذكر ما نظمه العرب فى الإبل والخيل، وحمر الوحش والنعام والذئب والضبع والأسد وحيوان الصيد من الكلاب والفهود والبزاة، ويذكر مثل قول المثقب العبدى فى ناقته:

إذا ما قمت أرحلها بليل ... تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضينى ... أهذا دينه أبداً ودينى؟
أكل الدهر حل وارتحال ... أما يبقى علىّ وما يقينى
فأبقى باطلى والجد منها ... كدكان الدرابنة المطين[1]

وقول القائل:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإنى وقيار بها لغريب

وقيار اسم جمل الشاعر.

(١) الدرابنة جمع دربان: البواب. والمطين: المطلى بالطين. الدكان: المصطبة

وقول آخر:

شكى إلىّ جملى طول السرى ... صبراً جميلا فكلانا مبتلى

وقول آخر:

هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى ... وإنى وإياها لمختلفان

وقول القائل:

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت
فحىّ ويحك من حياك يا جمل

وقول أبى الطيب:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت فى عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها ... وألوانها فالحسن عنك مغيب

من يذكر هذا وأمثاله يعرف مقدار ما عنى شعراء العرب بوصف الحيوان بل بصحبته ومعاشرته.

الشعر العربى حافل بهذا الضرب من الحديث عن الحيوان. وهو يدل على العطف عليه والإكبار من شأنه.

وقد حدثنى أستاذ إنجليزى كبير من الأطباء البيطريين عن إعجابه بتكريم العرب والمسلمين للحيوان، ورفعهم شأنه، ومعاملته معاملة ذى الروح، والرفق به على حين كان لغير المسلمين مع الحيوان شأن آخر، وقد كتب هذا الأستاذ فى هذا المعنى رسالة.

هذا موضوع واسع لا تسعه إلا المؤلفات الكبيرة، ولكني عرضت له هنا لأذكر كلف هذا الشاعر العربى الموصلى بوصف الحيوان والعطف عليه والعناية بأمره سنة شعراء العرب، ثم فرحه بطائر عشش عنده وجاوره وصاحبه.

زوجان من الخطاف اتخذا فى قبة حجرته عشاً فلم يرعهما، بل أنس بهما، وسعد بصحبتهما، وذكرهما فى شعره مرات، وجعلهما من محاسن حجرته، ومما رغب أصدقاءه فى زيارتهما.

انظر قوله فى أرجوزة يستدعى صديقاً له:

لنا مغن حسن الغناء ... وقهوة ضاحكة الإناء
وغرفة فسيحة البناء ... طائرة القمة فى الهواء
يوطن في قبتها العلياء ... زور خفيف الروح والأعضاء
محلق فى كبد السماء ... وتارة يلصق بالغبراء
فى يلمق مشهّر الأثناء ... كأنما طُوّق بالدماء

يُطلب أو يُخاب قلب الرائى   بين غنـاء منـه أو بنـاء

يذكر لصديقه أن زائراً خفيف الروح ضئيل الأعضاء يسكن فى قبته ، وأنه يصعد ويصوب ، فتارة يبلغ كبد السماء ، وتارة يُلامس الأرض ، وهو يلبس ثوباً ثناياه بيض ، وله طوق أحمر ، كأنه مُطوق بالدماء ، فمن يراه مغنياً أو يبصره بانياً عشه ، يطرب أو يغلب على قلبه جمال هذا المغنى الصغير والبناء الماهر فيخلبه .

ويقول فى قصيدة يستزير بها صديقاً آخر ويُحسِّن له الزيارة بأن له غرفة عشش فيها الخطاف وأنس بها واطمأن إليها :

وقد كتبت أيدى الربيع صحائفاً   كأن سطور البرق حسناً سطورها
فمن روضة سار إلينا نسيمها   ومن مُزنة مرخى علينا ستورها
وغرفتنا الحسناء قد زاد حسنها   زائرة فى كل عام تزورها
بمبيضة الأحشاء سود شطورها   مزررة الأذناب حمر نحورها
مزخرفة حول البيوت وفودها   محلقة حول السقوف وكورها
لهن لغات معجبات كأنها   صرير نعال السبت عال صريرها

(كأن صوتها صرير هذه النعال المصنوعة من جلد مدبوغ جيد)

تجاورنا حتى تشب صغارها   فيحلق فينا بالكبير صغيرُها
فزرنا تر اللذات بيضاً وجوهها   محببة روحاتها وبكورها

أليس هذا وصف شاعر محب لهذا الطائر معجب به يرغب أصدقاءه فى زيارته بوصفه . ولولا رفقه به ورعايته له ، ما عشش وفرخ فى سقف حجرته وبقى حتى شبت صغاره فطارت مع كباره

ويقول فى قصيدة أخرى يدعو صديقاً له ويذكر ما عنده من المرائى الجميلة ، وآلات اللهو ، والفتية الأدباء ، وهذا الطائر الصديق المستجير بغرفته ، المحترم بجواره :

وغرفتنا بين السحائب تلتقى   لهن عليها كلة ورواق
تقسم زوار من الهند سقفها   خفاف على قلب النديم رشاق
أعاجم تلتذ الخصام كأنها   كواعب زنج راعهن طلاق
أنسن بنا أنس الإماء تحببت   وشيمتها غدر بنا وإباق
مواصلة والورد فى شجراته   مفارقة إن حان منه فراق
فزر فتية برد الشباب عليهم   جحيم إذا فارقتهم وغساق

فهذه غرفة يضرب السحاب عليها رواقه ، تقسمها جماعة الخطاف ، وهى فى ألوان أهل الهند ، فهو يسميها زوار من الهند وهو يسمع أصواتها عجماً لا تبين ، وهى تتصايح وتتطاير وتختلف أحياناً فتتشاجر كأنها كواعب من الزنج فى خصام .

وقد أنس هؤلاء الزوار بهذه الغرفة ، كالإماء المتوددات ، ولكنهن لا يقمن على حال فهن يهجرن الغرفة ولا يرعين الصحبة والجوار ، إنما تقيم إبان الربيع والورد فى شجره . فإن فارق الورد فارقت فما ودها إلا كهذه الزهرة ، سريعة الذبول قصيرة اللبث .

هكذا يفتن شاعرنا فى وصف جاراته وإعجابه بها ، وذكر ألوانها وأصواتها ، ومرحها وخصامها ، وهذا لا شك ضرب من الشعر الطبيعى الإنسانى ، يؤلف بين الإنسان وبين ما يحيط به من حيوان وجماد ، وهو فى أدبنا كثير ، ولكنه فى حاجة إلى التنويه والجمع والترتيب .

والسرى يعد شاعر وصاف يفتن فى الوصف ، ويتناول بها الطبيعة : سماءها ونجومها وسحبها ، والأرض : أنهارها وغدرانها ورياضها وحدائقها ، والصناعات البشرية من القصور والتماثيل والسفن وغيرها . ولا يتسع المجال للاتيان بأمثلة فى هذه الموضوعات فأكتفى بمثالين :

قال يصف السفن :

كل زنجية كأن سواد الليل   أهدى لها سواد الأهاب
تسحب الذيل فى المسير فتختا   ل وطوراً تمر مر السحاب
وتشق العباب كالحية السوداء   أبقت فى الرمل أثر انسياب
وإذا قدمت رءوس المطايا   للسرى قدمت من الأذناب

وقال يصف الجراد :

وجحفل من جنود الله منتشر   مثل الخناصر منقوش الحيازيم
يحل بسطة إقليم فإن عصفت   به الصبا سيرته جو إقليم
ما شن وهو ضعيف البطن غارته   إلا استباح حمى الشم الهاميم
يلقى على الحب فى أعلى منابته   كلا كلا نقشت نقش الخواتيم
إذا استقل أعاد الأرض معدمة   واستودع الترب نسلا غير معدوم

تلك نبذة عن السرى الرفاء ، ولعله يجد من عناية الأدباء ما يؤدى حقه من نشر شعره والإشادة بذكره ...

عبد الوهاب عزام

عـــدل السماء

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

« ليت كل ذى عقل يؤمن بأن فى السماء عدلاً يهبط إلى الأرض فى غير انقطاع ! فما أشد حماقتك وغباوتك يا من تتناسى عدل السماء ! »

لقد نزلت — يا رفيقى — قريتك فأحسست بالوحدة وأنت بين أهلك، واستشعرت الغربة وأنت فى دارك، وعشت فيها أياماً فما رف إليك قريب من ذوى قرابتك، ولا هفا نحوك واحد من أخوتك. وكيف يفعلون وهم قد لمسوا منك الجفوة والامتهان والشح، فما تلبثت نفسك أن ضاقت بالحياة وحيداً فى هذه القرية، فثارت خواطرك ثورة عنيفة جيّاشة فبعت دارك لأنك لم تجد فيها الراحة ولا المأوى، بعتها — وهى كل ما تملك فى القرية — فمضيت على آخر أثر لك هناك، مثلما مسحت على آخر خفقة من خفقات العطف والحنان حين اشتريت هذه الدار وأفزعت عنها أهلها، إخوتك أنت ... ثم خرجت — وحدك — من الدار ومن القرية جميعاً. وانطوت الأيام فما عدت سوى ذكرى فى القلوب، أو تاريخ على الألسن كان حديث القوم حيناً.

يا لعدل السماء! لقد خرجت اليوم قسراً من الدار التى طردت منها بالأمس إخوتك فى غير شفقة ولا رحمة. وأرسل إخوتك الأطهار نظراتهم فى إثرك وأنت تتوارى خلف الأفق، وتملأت بك أبصارهم، وخفقت قلوبهم فى أسى ولوعة حين أيقنوا أنك أصبحت غريباً عنهم، وترقرقت العبرات فى عيونهم لأنهم وجدوا لذع فقدك، فقلوبهم ما تزال غضة نقية لم تشوهها المدنية ولا تحجّرتها المادة، وأزعجهم أن تخرج من القرية — وحدك — كاسف البال مضطرب النفس يرمضك الأسى ويمضك الهم. ولكن واحداً منهم لم يستطع أن ينطلق وراءك ليردك إلى أهلك خشية أن تلقاه فى غلظة أو تحدّه فى قسوة.

آه، يارفيقى، لو وجدت الرحمة إلى قلبك سبيلاً!

وعدت إلى المدينة، إلى عملك الحكومى، وما فى يدك سوى ما قبضته ثمناً لدارك وسوى ما فدحك من بث وشجن حين فقدت الأخ والصديق والقريب، وحين لفظتك القرية التى ولدت فيها وترعرعت بين ربوعها ... لفظتك وقلبك يهفو نحو ملاعب الطفولة وأحباء الصبا ومسارح الشباب.

لشد ما غاظك — وأنت فى القرية — أن يتغافل عنك أهلك وأن يتجاهلوا وجودك وأن ينبذوك جانباً، على حين قد جئت إليهم تريد أن تخطب الود، وتكفر عن الخطيئة وتصل ما انقطع. ما ذا — يا ترى — طمس على قلوبهم فما نبضت بحب ولا خفقت بعاطفة، وأنت ابن أبيك، وأبوك كان فى الذروة خلقاً وجاهاً، وهو قد عاش بينهم عمره الطويل فى العزة والمنعة والشرف يوقره الكبير ويحترمه الصغير؟ ما ذا يا ترى؟

وتراءى لك أن أهلك قد جفوك لفقرك، وعافوك لمرضك، فعقدت العزم على أمر، وأنت ما تزال شاباً فيك مسكة من قوة وبقية من نشاط.

وخلصت إلى عملك الحكومى تقضى فيه صدر النهار، وإلى عمل فى شركة تجارية تقضى فيها صدر الليل، وأنت بين هذا وذاك تعين محاسباً — زميلاً لك — على عمله لقاء أجر معلوم. واعتمرت فى عمل مستمر متواصل يستغرق وسعك ويستنفد طاقتك، وأنت فى شغل لا تجد مس العنا ولا تحس شدة الرهق، فقلبك راض مطمئن، تأخذ نشوة المال حين تجمعه وتحصيه ثم تدخره عسى أن تبلغ الغنى أو ترقى إلى الثراء فتكون بين أهلك وذوى قرابتك رجلاً.

وضننت بهذا الجهد — وهو ضخم — أن تبعثره نوازع الحياة أو أن يعزه بهرج المدنية، فعاودك داء البخل والكزازة فتلمست مسكناً فى حجرة ضيقة من منزل حقير، بأجر زهيد، تقضى فيها ساعات نومك، تقبل عليها فى هدأة الليل وتفزع عنها فى بكرة النهار.

هذا المكان قذر وضيع تتراكم فى نواحيه الأوحال والأوساخ وتفوح منه رائحة نتنة ذفرة، ولكنه لا يوحى إلى نفسك الغضاضة ولا يبعث فى قلبك التقزز. وماذا يضيرك وأنت تتوارى فى هذا الوكر عن الأبصار والقلوب؟ ثم لجّ بك البخل وضربك

الشح فأصبحت لا تبالى أن تبدو أمام الناس فى أسمال خَلِقة تزدريها النفس وتقتحمها العين ، ثم ضيقت على نفسك لا تحبوها إلا بالتافه الضئيل من الطعام ، ولا ترفه عنها ما تعانى من كلال ونصب ، ولا تخفف عنها ما تقاسى من عناء وسأم .

وتعاورك الإرهاق وسوء التغذية وانحطاط السكن ، ولكنك ادخرت مالاً .

وعجبت أن ترى زملاءك فى الديوان يتلقفون « الترقية » و « الدرجة » و « العلاوة » وأنت تنظر وتنتظر فلا تنال شيئاً . لماذا ؟ وأنت لا تهمل ولا تتكاسل ، تنطوى على عملك فى دأب ونشاط وتنزل عند رأى (المدير) فى غير تردد ولا نقاش تبتغى أن تنال عنده الحظوة ، وأن تبلغ منه الرضا ، ولكنك ما تبرح فى مكانك منبوذاً فى ناحية .

أما هؤلاء الذين يظفرون بالترقية والدرجة والعلاوة فما منهم من يؤمن بالعمل ، ولا من يرعى حق الوظيفة ، ولا من يعنى بالواجب ، فهذه أكداس من الورق تتراكم أمامهم فلا يعيرونها التفاتة ولا يأبهون لما بها ، ولكنهم يجنون رضا الحكومة ، ويستمتعون برحيق الوظيفة ، وأنت تنظر وتنتظر فى غير رجاء ولا أمل ، فليت شعرى لماذا ؟

وخُيِّل إليك أن السر هناك فى حجرة المدير فذهبت تكشف عن خبيئة هذا الأمر فما أعجزتك الحيلة ولا ضاقت بك الوسيلة ، وأنت رجل ذو ثقافة وعقل .

ورأيت الموظف يتملق (سعادة المدير) بأساليب أيسرها الإطراء والمدح ، ويقترب إليه بوسائل أكرمها التذلل والتعبد ، والمدير يتقبل هذا وذاك فى رضا وسرور .. هذا سبيل وعزّ عليك أن تسلكه فما فى طبيعتك أن تفعل . ولكنك برمت بما ترى حواليك وحار عقلك ، وآذاك أن ترى مَنْ هم دونك يتسلقون السلم فى سرعة وسهولة ، وأردت أن تتذوق بعض ما يسعدون به . وسطعت فى خيالك خاطرة انجابت لها كل الخواطر السود فى رأسك ، وهدأت لها أعصابك الثائرة ، فأنت قد عقدت العزم على أن تصل حبلك بحبل (سعادة المدير) فتتزوج من ابنته .

وزيّن لك خيالك الأمر ، فغداً — حين تتزوج من ابنة المدير — تصبح أنت صاحب الرأى فى المكتب ، وصاحب السلطان فى الديوان ، وصاحب الكلمة فى المصلحة . واستبدت بك الفكرة فبعثت فيك النشوة واللذة ...

وذهبت إلى (سعادة المدير) تخطب إليه ابنته فربتَ على كتفك وأجلسك إلى جانبه وحباك بعطفه وانفتح لك باب حجرته وباب داره فى وقت معاً ، وانحنى لك ساعيه وبوابه ، وهابك مرءوسوه وأعوانه ، واحتفل بك أهله وأقاربه ، ثم طلب إليك المهر فما تعوقت وما تعوق هو الآخر ، فجاءتك الترقية والعلاوة والدرجة جميعاً ، وابتسم (سعادة المدير) وابتسمت أنت أيضاً ولكن الأيام ...

فيا ليت شعرى هل كان أبوك يستنزل سخط السماء على ابنه العاق حين كان يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن ؟

وتمت المراسيم الأولى للزواج ، وجاء جهاز العروس بين فرح الأهل وبهجة الأقارب ، وانتهى كل شيء فلم تبق سوى أيام ثم تزف إليك عروسك السعيدة . وأردت أن تلقى بنفسك فى غمرات العمل الشاق لتدخر مالاً تنفقه عن سعة فى شهر العسل ، ولكنك أحسست بقوتك تتقوض وبصحتك تنهار ، فانطلقت تطب لمرضك فأرسلك الطبيب إلى مصحة حلوان .

وأنت الآن — يا رفيقى — هناك فى مصحة حلوان لا تجد الصديق لأنك خاصمته منذ زمان ، ولا تجد المال لأن المدير قد استنزف كل ما لك مهراً لابنته ثم طار عنك ، وتزوجت ابنته من مال دفعته أنت مهراً لها .

أنت هناك — يا رفيقى — تنتظر النهاية وحيداً لأن أباك استنزل سخط السماء على ابنه العاق . فيا ليت شعرى .. يا ليت !

كامل محمود حبيب

حين تعبث الأقدار

للأستاذ نصيف المنقبادي المحامي

ليست هذه القصة خيالية ، وإنما هي حادث حقيقي ؛ وقف كاتب هذه السطور على تفصيلاته من أشخاصه أنفسهم وباشر أخيراً بنفسه بعض إجراءات قضائية ترتبت عليه .

بدأت وقائع هذا الحادث منذ خمس عشرة سنة . وفي الشهر الماضي أسدل الستار على الفصل السابق للأخير منه . أما نهايته فهي سر المستقبل .

منذ خمسة عشر عاماً خطفت امرأة طفلة صغيرة تبلغ من العمر خمس سنوات من أسرة غنية تقطن بلدة من أعمال مديرية أسيوط . وكان اختطاف البنت بتحريض أحد خصوم والدها وتدبيره — على ما يقول — لضغينة بينهما . ولم تسفر في ذلك الحين أبحاث البوليس ولا تحقيقات النيابة عن نتيجة ، ولم تثبت التهمة على شخص معين وقيدت القضية «ضد مجهول» و«حفظت لعدم معرفة الفاعل» وانتهى الأمر عند هذا الحد من الناحية القضائية ، وظلت الطفلة مفقودة ، ولم يهتد إليها أحد على رغم جهود والدها المتواصلة في البحث عنها ، وقد أرسل في هذا السبيل أقاربه ومعارفه إلى أطراف المديرية ، ثم إلى مختلف أنحاء البلاد ، وأنفق جانباً من ثروته بلا جدوى . وكم نصب عليه الكثيرون من الدجالين : من محضري الأرواح ومحترفي التنويم المغناطيسي والمنجمين وقارئي الكف وغيرهم . وقد وفد إلى القاهرة لمقابلة بعضهم مخدوعاً بإعلاناتهم ومحاضراتهم الماكرة التي يغرون بها السذج . وكان كل واحد منهم يرسله إلى ناحية نائية من البلاد بزعم أن ابنته نقلت إليها حتى يبعده عنه بعد أن يستولى على كل ما يمكنه الاستيلاء عليه من ماله ، وادعى بعض الخبثاء منهم أن الطفلة هربت إلى خارج البلاد ليعجزه عن السفر إليها .

وظلت الأم المسكينة تبكي ابنتها العزيزة ليل نهار السنين الطويلة حتى فقدت بصرها وعز الدواء . وكان أشد ما يفزعها أن تكون ابنتها تقاسي آلام الجوع أو ذل الخدمة أو ما هو شر من هذا كله وهو وحشية بعض الرجال يقودونها إلى الرذيلة ويكرهونها عليها ، حتى كانت تتمنى أن تكون ابنتها قد ماتت خيراً من أن تتجرع هذه الأهوال وتسقط في تلك الهاوية .

وأخيراً ترامى إلى علم والدها أن لخاطفي ابنته ، أو بالأحرى لمن اشتبه فيهم — أقارب في القاهرة يذهبون إلى زيارتهم من حين إلى آخر ، فظن الرجل أن يكونوا قد أرسلوها إليهم ليخفوها ، أو أنهم تركوها شريدة في شوارع العاصمة . فاستأنف بحثه فيها واستعان ببعض أقاربه وأقاربهم هنا ، وصاروا يتفرسون في كل فتاة يقابلونها في الأزقة والطرقات عساها أن تكون ضالتهم المنشودة .

وحدث في الشهر الماضي أن وقع نظر أحدهم على فتاة فقيرة في أحد الأحياء الوطنية تشبه ملامحها — بعض الشبه — ملامح ابنتهم المفقودة فتعقبها من بعد إلى أن وصلت إلى مسكنها المتواضع ، ثم أرسل إليها خالتها التي تحققت من التفرس فيها ومن حديثها معها ومن الكشف على بعض مميزات في جسمها أنها ابنة أختها المفقودة ، فلجآ إلى البوليس وهناك قصت الفتاة تاريخها من بدء ما أمكنها أن تذكر إلى حالتها الراهنة .

قالت إنها تذكر أنها كانت مع امرأة اعتادت أن تعاملها بخشونة وتضربها بقسوة ، ثم انتقلت من منزل إلى منزل لا تستطيع الإرشاد عن أماكنها ، وكانت تخدم في البيوت ، وأخيراً التحقت بخدمة أسرة تجاور كاتب هذه السطور . وكان لرب هذه الأسرة خادم يعمل في محل تجارته فتزوج الفتاة من نحو عامين ، وتركت الخدمة وعاشت مع زوجها راضيين قانعين بما قسم لهما من شظف الحياة . ومنذ بضعة شهور ولدت طفلا ففرح الزوجان به فرحاً شديداً ، وانصرفت الزوجة إلى العناية بمولودها والسهر عليه ولقيت من مخدومتها السابقة كل مساعدة ... إلى أن فوجئت بطلبها إلى مركز البوليس هي وزوجها على الوجه المتقدم .

وهنا قامت مشكلة على جانب من الخطورة ، فقد كان من المستطاع حل المسألة على خير وجه بأن يساعد والد الفتاة ، وهو غني ، زوج ابنته الفقير على رفع مستواه حتى يصبح كفؤاً له فيؤجر

له مثلا بعض أطيانه بإيجار قليل في بادىء الأمر ، أو يقيم له متجراً يرتزق منه الخ ... ولكن وقفت أمامهم عقبة كؤود ، فقد اتضح أن الزوجة وأسرتها من الأقباط المسيحيين ، وكانت الفتاة قد تزوجت هذا الشاب المسلم وهي تجهل حقيقة أسرها وتعتقد أنها مسلمة مثله . ولم يكن أهل الزوجة على درجة من التعليم وسعة من العقل والتسامح الديني يجعلهم يقبلون هذا الزواج الذي تجيزه المسيحية والشريعة الإسلامية على السواء ؛ بدليل زواج الكثيرين من المسلمين بالأجنبيات المسيحيات بقبول أهل الزوجة ورضاهم . لهذا عارض والد الفتاة وأقاربها في استمرار زواج ابنتهم بزوجها هذا ، وقالوا إنهم سيطلبون من القضاء إبطاله لأنه بُني على الخطأ ، والخطأ يُبطل التعاقد .

أمام هذا الإشكال وهذا النزاع رأى بوليس القاهرة أن يحيل الموضوع كله إلى « الجهة المختصة » وهي مركز بوليس أهل الزوجة حيث وقعت الجريمة — جريمة الخطف — وحيث يسهل استكمال تحقيق شخصية هذه الفتاة رسمياً ، وهل هي حقيقة ابنة « المشتكي » وذلك بشهادة الجيران وباقي أفراد العائلة على ضوء المحضر القديم « المحفوظ » بالنيابة ، فعارضت الفتاة وقالت : إنها لا تريد أن تفارق زوجها والد ابنها ، وأنها راضية بحياتها الحاضرة ؛ غير أن المأمور أمكنه أن يقنعها بالسفر مع زوجها ، فقبل الزوجان بعد أن رأيا من كرم أخلاق والد الفتاة وباقي أسرته وحسن معاملتهم ما شجعهما على ذلك ، وسافروا جميعاً .

وكان منظراً مؤثراً حقاً لقاء تلك الأم المسكينة الضريرة بابنتها بعد فراق خمسة عشر عاماً ، فأخذت تضمها إلى صدرها بحنان وتقبلها وتتحسس بيديها رأسها ووجهها وشعرها وجسمها تستعيض بهذا عن نعمة الأبصار وكأنها في حلم لذيذ لا تصدق أنه حقيقة . وبعد أن استراح الجميع وأكلوا وشربوا وأكرموا الزوج كل الإكرام ، أخذوا يطوفون بالفتاة أنحاء المنزل وملحقاته وعلى الشوارع المحيطة به فقالت إنها تذكر فعلاً بعض هذا حين كانت طفلة ، وأيقنت أنها ابنة هذه العائلة حقيقة . وقد تأثرت بحالة والدتها وقالت إنها لن تتركها بعد الآن . وأشفق زوجها كذلك على هذه الأم الضريرة . وبعد أن كان مصمما على الرجوع مع زوجته إلى القاهرة أقنعه ذووها بأن من الخير لابنه أن يتولوا هم بما لهم من ثروة وجاه أمر تربيته وتعليمه حتى مرحلة التعليم العالي الذي يعجز عنه هو بطبيعة الحال ؛ ويخصون الطفل ببعض أملاك جده بشرط أن يتخلى أبوه من زوجته ويترك لهم الطفل على أن يحضر إلى القاهرة من وقت إلى آخر لمشاهدته ، أو يحضر هو لزيارته كلما شاء معززاً مكرماً في ضيافتهم . وبعد أن تردد الرجل كثيراً وفكر طويلا رأى أن يضحي بسعادته الزوجية ويحرم نفسه ابنه العزيز ضماناً لمستقبل الطفل ، فقبل أن يطلق زوجته ويترك لها حضانة ابنها ، وعاد إلى القاهرة وقلبه يتمزق حزناً على فراقها وفراقه ، وما زال يحن إليهما بكل جوارحه . وهكذا ذهب ضحية اختلاف الدين . على أنه يجد في المستقبل الزاهر الذي ينتظر الطفل خير عزاء . وهو يكرر الآن القول ليعزي نفسه : « إن الله فتح على ابني وإن كان قد حرمني منه ومن زوجتي » .

على أن الرواية لم تتم فصولها ، لأنه بقي أن نعرف ما يكون عليه مركز الابن من والده ومن والدته وأسرة كل منهما متى بلغ سن الرشد ، وإلى من منهما ينتمي ؟

نصيف المنقبادي المحامي

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمـــد أحمد بدوى

— ٣ —

وكان للجيش ديوان يشرف عليه من الناحية الإدارية والمالية. وكان الجندى فى ذلك الحين موسعاً عليه فى الرزق، بل كان الخير يغدق عليه أحياناً من ناحية المتنافسين على تولى زمام السلطان، فعندما وزر شاور مثلا زاد الأجناد على ما كان لهم عشر مرات[1]

وفى العصر الفاطمى كان الجنود يتقاضون مرتباتهم نقودا، ويظهر أنهم ما كانوا يأخذون مرتباتهم شهرياً، وإنما كان يعطى لهم فى العام مرة، وأن هذه المرتبات تبلغ ثلث خراج الدولة، يفهم ذلك من قول المقريزى فى خططه (جـ ٢ ص ٢٤٩): وكانت العادة إذا مضى من السنة الخراجية أربعة أشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشـدة، ومن الـكتاب العدول، وكاتب نصرانى، فيخرجون إلى سائر الأعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة، فينفق فى الأجناد، فإنه لم يكن حينئذ للأجناد إقطاعات.

ولـكن نور الدين محموداً بالشام فضل أن يعطى جنده إقطاعات ينالون منها أجورهم. وكان الجندى إذا مات أعطى إقطاعه لولده فإن كان صغيراً رتب معه من يلى أمره حتى يكبر؛ فكان أجناده يقولون: الإقطاعات أملاكنا، يرثها أولادنا الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليهـا[2]؛ وسارت الدولة الأيوبية والملوكية على هذا النظام فـكانت تمنح الأمير وأجناده الإقطاع، على أن يكون للأمير الثلث ولأجناده الثلثان، فلا يمـكن الأمير ولا مباشروه أن يشاركوا أحـداً من الأجناد فيما يخصهم إلا برضاهم. وكان الأمير لايخرج أحداً من أجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضى إخراجه. فحينئذ يخرجه نائب السلطان، ويقيم عند الأمير عوضه

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٢٨.
(٢) خطط المقريزى جـ ٣ ص ٣٥١.

وكانت إقطاعات جند الأمراء على ما يراه الأمير من زيادة بينهم ونقص، ومن مات من الأمراء والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق، فإما أن يرتجع منهم، وإما أن يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم. وإقطاعات الأمراء والجند، منها ما هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء، ومنهـا ما هو نقد على جهات يتناولها منها. وكان لجميع الأمراء على السلطان الرواتب الجارية فى كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير للخيل والزيت؛ ولبعضهم الشمع والسكر والكـسوة فى كل سنة، وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الجند. ولـكل أمـير من الخواص على السلطان مرتب من السكر والحلوى فى شهر رمضان، ولسائرهم الأضحية فى عيد الأضحى على مقادير رتبهم، وكانت الخيول السلطانية تفرق على الأمراء مرتين فى كل سنة[1].

وفى الحملات الحربية الـكبرى كان بعض السلاطين يلجأ إلى فرض ضرائب جديدة على الشعب المصرى كما حدث فى عهد قطز فإنه عند ما أزمع حرب التتار أخذ من أهل مصر والقاهرة على كل رأس من الناس من ذكر وأنثى ديناراً واحداً، وأخذ من أجرة الأملاك والأوقاف شهراً واحداً، وأخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلا، وأخذ من الترك الأهلية الثلث من المال وأخذ على الغيطان والسواقى أجرة شهر، فبلغ جملة ما جمعه من الأموال فى هذه الحركة ستمائة ألف دينار. وبهذه الأموال جند جيشاً هزم التتار لأول مرة فى تاريخ حياة التتار.

والقارىء لوصف المجلس الاستشارى الذى عقـده قطز من علية القوم لفرض ضرائب جديدة للجيش يرى ما كان عليه هذا الجيش من سعة فى الحياة. والحق أن سلاطين ذلك الحين لم يضنوا على جيوشهم، لعلمهم بأنهم الساعد والعضد فى الدفاع عن أرض الوطن. ولم يـكن الجند يخرجون إلى قتال إلا وهم مغمورون بالرزق والعطاء. أنفق الأشرف خليل ابن قلاوون فى سنى حكمه الثلاث ثلاث نفقات: الأولى فى أول جلوسه فى السلطنة، والثانية عند توجهه إلى عكا، والثالثة عند توجهه إلى قلعة الروم.

***

(١) المرجع السابق ص ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٣.

وكما عني الفاطميون بإنشاء جيش بري لجب يحفظ ملكهم ، ويصون إمبراطوريتهم ، لم يغفلوا عن أن بلادهم — ولها شواطئ مترامية الأطراف على بحرين عظيمين الأبيض والأحمر — تحتاج إلى أسطول ضخم يصون الحمى ويحمي الذمار ، فأنشأ المعز لدين الله قوة بحرية مكونة من أكثر من ستمائة قطعة [1] ، وقد أعانته تلك القوة وأعانت خلفاءه على تثبيت سلطانهم وحفظ هيبتهم .

ولكي ينال الأسطول ما يستحقه من الرعاية أنشأت الدولة له ديواناً خاصاً [2] يقال له ديوان العمائر ، يعني به من الناحية الإدارية والمالية .

وزاد عدد جنده على خمسة آلاف مقاتل [3] ، لهم عشرة قواد يعين منهم واحد رئيس الأسطول ، فإذا ساروا إلى الغزو كان هو الذي يقلع بهم ، وبه يقتدي الجميع ، فيرسون بإرسائه ويقلعون بإقلاعه . وعلى الأسطول مقدم يكون أميراً كبيراً من أعيان أمراء الدولة وأقوامهم نفساً ، وللجند عشرون عريفاً يسمون النقباء هم الذين يفرقونهم ويجمعونهم إذا كان غزو .

ولقواد الأسطول مرتبات يصل أعلاها إلى عشرين ديناراً في الشهر ، وبعضهم يأخذ خمسة عشر ديناراً ، أو عشرة دنانير أو ثمانية أو دينارين ، وذلك أقل مرتباتهم [4] . وللجند الأجور والجرايات مدة سفرهم لكل واحد خمسة دنانير ، أما بعد عودتهم فإنهم ينالون رزقهم بكدهم ، ويكونون على استعداد للغزو إذا طلبهم العريف له .

وتنفق الدولة على الأسطول من إقطاعات خصصت به تعرف بأبواب الغزاة وفيها ما يرد إلى الخزانة من ثمن النطرون الذي احتكرته الحكومة .

فإذا أراد الأسطول الغزو جمع النقباء له الرجال من غير أن يكرهوا أحداً على السفر ، ثم يعين الخليفة يوماً للنفقة يجلس فيه ومعه الوزير ، كما يحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفي والكاتب . وللمجلس أنطاع تصب عليها الدراهم ويحضر لذلك الوزانون لبيت المال ، فإذا تهيأ الإنفاق أدخل الغزاة مائة مائة ، وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة ، فيستدعي مستوفي الجيش من تلك الأوراق واحداً واحداً ، فإذا كمل عددهم عشرة وزن الوزانون لهم : لكل واحد خمسة دنانير ، ويستمر ذلك مدة أيام متوالية مرة ومتفرقة مرة ، فإذا تكاملت النفقة وتهيأت السفن للسفر خرج الخليفة والوزير إلى ساحة النيل بالمقس خارج القاهرة ، وكان هناك منظرة يجلس فيها الخليفة لوداع الأسطول ولقائه إذا عاد ، فإذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك ، للقيام بمناورة بين يدي الخليفة ، وهي مستكملة عددها وأسلحتها وما فيها من المنجنيقات ، فيرمى بها ، وتنحدر المراكب وتقلع ، وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدو ، ثم يحضر المقدم والرئيس بين يدي الخليفة فيودعهما ويدعو للجماعة بالنصر والسلامة . ويعطى المقدم مائة دينار وللرئيس عشرين ديناراً . وينحدر الأسطول إلى دمياط ، ومن هناك يخرج إلى البحر الأبيض للغزو والجهاد ؛ فإذا أدى واجبه عاد وخرج الخليفة أيضاً للقائه [1] . ومن ذلك يبدو مقدار اهتمام الخليفة بالقوة البحرية ومدى عنايته بأمرها . وكانت العادة أن ما غنمه الأسطول من المال والثياب ونحوها يكون لغزاة الأسطول لا يشاركهم فيه أحد وليس للخليفة سوى الأسرى والسلاح .

ولم يزل أمر الأسطول معنياً به طول عصر الدولة الفاطمية ، وإن كانت عدد سفنه قد قلت في عهد الحروب الصليبية ، ولكنها لم تنقص عن نحو مائة قطعة في آخر عهد الدولة الفاطمية . فلما دخل الفرنج أرض مصر في عهد شاور خاف أن يقع الأسطول الفاطمي في يد ملكهم مري ، فأحرق جزءاً كبيراً منه ، ونهبه العبيد فيما نهبوا [2] ، وهكذا فقدت مصر جزءاً كبيراً من قوتها البحرية بسبب هذا العراك الذميم على السيطرة والسلطان بين وزراء ذلك الزمان .

فلما جاء صلاح الدين رأى واجباً عليه لكي يتم رسالته أن يعني بأمر الأسطول يحارب به أساطيل الصليبية ؛ ففي سنة ٥٧٢ وهو مقيم بالإسكندرية رأى الأسطول وقد أخلقت سفنه ،

(١) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣١٣
(٢) الإسلام والحضارة العربية لكرد علي ج ٢ ص ٣٨٤
(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٥١٩
(٤) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣١٣

(١) المرجع السابق
(٢) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣١٣

وتغيرت آلاته فأمر بتعميره ، وجمع له من الأخشاب شيئاً كثيراً ومن الصناع عـدداً جماً ، حتى إذا تم صنع المراكب أمر بحمل إليها ما هي في حاجة إليه من السلاح والعدد وشحنه بالرجال ، وولى فيه أحد أصحابه ، وخصص له إقطاعاً خاصاً (١) ، وموارد ثابتة يجبى منهـا مقدار ضخم ينفق عليه (٢) ، وزاد في دينار الأسطول ، فجعله يساوي نصف دينار وربعه بعد أن كان يساوي نصف دينار وثمنه (٣) ، وأفرد للأسطول ديواناً خاصاً سلمه إلى أخيه الملك العادل (٤) ، وأعطى صلاح الدين صاحب الأسطول سلطة كبرى في تخير رجاله وإعداد سلاحه ، فكتب إلى سائر البلاد يقول : القول قول صاحب الأسـطول وألا يمنع من أخذ رجاله وما يحتاج إليه . واشتهر من قواد البحر في عهد صلاح الدين القائد العظيم لؤلؤ (٥) . وبلغت عدة الأسطول سنة ٥٧٥ ستين شينياً وعشرين طريدة (٦) ، ولا بد أن يكون عدد قطع الأسطول قد زاد بعدئذ ، فإن صلاح الدين ما كان يضن على هذه القوة البحرية بمال .

واستمرت العناية بأمر الأسطول قليلا بعد وفاة صلاح الدين . ثم قل الاهتمام به وصار لا يفكر في أمره إلا عند الحاجة إليه ، فإذا دعت الضرورة طلب له الرجال ، وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا في السلاسل نهاراً ، وسجنوا في الليل حتى لا يهربوا ، ولا يعطون إلا قليلا من الخبز ونحوه ، وربما أقاموا الأيام بغير شيء كما يفعل بالأسرى من العدو ، فصارت خدمة الأسطول عاراً يسب به الرجال ، وإذا قيل لرجل في مصر يا أسطولي غضب غضباً شديداً بعد أن كان خدام الأسطول يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة لأعداء الله ، ويتبرك الناس بدعائهم (٧) .

ثم عادت العناية بأمره في عهد الصالح أيوب ، وكان له أكبر الأثر في معركة المنصورة (٨) كما رأينا ، وأهمل أمره بعد ذلك حتى أيام بيبرس فاستدعى رجال الأسطول وأمر بصنع السفن وقطع الأخشاب لعمارتها ، وكان يشرف على صنعها بنفسه (١) ، ويجلس بين الأخشـاب والعمال ويقتدي به الأمراء فيحملون بأنفسهم آلات الشواني ويساعدون في صنعها (٢) ، وبنى أكثر من أربعين سفينة وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد (٣) وذلك في شوال سـنة ٦٦٩ (٤) ، ولما حطم هذا الأسطول عند قبرص أعيد بناء غيره ، وخرج بيبرس لاستعراضه ، كما كان يركب مع الخليفة لمشاهدة مناوراته الحربية في النيل (٥) . وفي تقليد الخليفة لبيبرس يوصيه بالعناية بأمر الأسطول ويقول له : وكذلك أمر الأسطول الذي تزجى خيله كالأهلة ، وركائبه سابقة بغير سائق مستقلة ، وهو أخو الجيش السليماني ، فإن ذاك غدت الرياح له حاملة ، وهكذا تكفلت بحمله المياه السائلة ، وإذا لحظها جارية في البحر كانت كالأعلام ، وإذا شبهها قال هذه ليال تقلع بالأيام (٦) وهذا التشبيه يدل على أنها كانت تطلى باللون الأسود . فلما كان عهد قلاوون رأينا في الحملة التي وجهها إلى بلاد النوبة سنة ٦٨٨ خمسمائة مركب ، ما بين حراريق وغيرها (٧) .

وفي عهد خليل بن قلاوون زادت العناية بأمر الأسطول حتى كانت عدة الشواني بخوستين شونة ملأها بالعدد وآلات الحرب . وعزم السلطان على الخروج لمشاهدته ، فأقبل الناس من كل صوب يريدون أن يشهدوا تلك القرة البحرية الضخمة ، واستعدوا لذلك قبل مقدم السلطان بثلاثة أيام ، وصنعوا لهم أخصاصاً على شاطىء النيل ، وأكثروا الساحات التي قدام الدور ، بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر إلا خرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك . ولما حضر السلطان برزت الشواني واحدة بعد واحدة ، وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر ، والقتال عليها ملح ، والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين يعمل الحيلة في النقب ، وما منهم إلا من أظهر في شونته عملا معجباً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه ، ثم

(١) الروضتين ج ١ ص ٦٩
(٢) خطط المقريزي ج ٣ ص ٢١٠ و ٣١٥
(٣) السلوك ج ١ ص ٤٥ (٤) خطط المقريزي ج ٣ ص ١٣٥
(٥) السلوك ج ١ ص ٦٩ (٦) الروضتين ج ٢ ص ١١
(٧) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣١٥
(٨) السلوك ج ١ ص ٣٥٣

(١) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣١٥
(٢) السلوك ج ١ ص ٦٠١
(٣) المرجع السابق ص ٤٤٧
(٤) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣١٥
(٥) السلوك ج ١ ص ٤٥٠ .
(٦) السلوك ج ١ ص ٤٥٧
(٧) المرجع السابق ص ٧٤٩

عاد السلطان وأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ماهم عليه من اللهو في اجتماعهم، وكان شيئاً يجل وصفه، وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجرة المركب ستمائة درهم. ولما بلغ خبر الشواني إلى بلاد الفرنج بعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح [١]، وأقيمت مثل هذه المناورة وهذا الاحتفال سنة ٧٠٢ في عهد الناصر محمد ابن قلاوون [٢].

(يتبع) أحمد أحمد بدوي

(١) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣١٦
(٢) المرجع السابق ص ٣١٧

اقرأ معي

للأستاذ إيليا حليم حنا

كان الملك هنري الرابع ملك فرنسا يقول دائماً للولاة والحكام:

أوصيكم بالفقراء والوضعاء خيراً فإنهم عماد المملكة ولولاهم لما كنتم أنتم ولما كنت أنا شيئاً يذكر؛ ففي استطاعتهم أن يستغنوا عنا؛ أما نحن فليس في استطاعتنا أن نستغني عنهم!

* * *

عندما حاصر الامبراطورية (كنراد الثالث) دوق بافاريا وتغلب عليه وافتتح قصره أمر رجاله بقتل الدوق مع كل رجاله الأخصاء، فجثت زوجة الدوق ونساء قصرها بين يدي الامبراطور وطلبن منه أن يسمح لهن بالخروج من القصر إلى مكان أمين حاملات ما يقدرن على حمله. ولما سمح لهن بما طلبن خرجت كل واحدة منهن حاملة زوجها على ظهرها. فلما رأى الامبراطور ذلك أعجب بأمانتهن وحبهن لأزواجهن وعفا عنهم.

* * *

كان قدماء اليونان إذا نبغ فيهم صانع أو شاعر أو خطيب أقاموا له الأعياد وسيروا المواكب ونظموا الحفلات وقدموا له تاج غار مصنوعاً من أغصان الشجر المسمى بشجر الغار الذي كانوا يعتبرونه من الأشجار المقدسة الخاصة بالآلهة ولا سيما (أبولون) إله الشعر والفنون الجميلة. وكان القوم يهرعون إلى تلك الحفلات من كل جانب وينسلون إليها من كل حدب فيذهبون من برقة وصقليا وإيطاليا إلى أثينا للاشتراك في تكريم نوابغهم.

وكذلك كان الرومان، لكنهم كانوا يجعلون تلك الحفلات التكريمية مقصورة على الخواص ويقدمون فيها المحتفل به الهدايا والمكافآت.

على أن هذه كانت أيضاً من عادات العرب قبل الإسلام. قال أبو الحسن بن رشيق القيرواني في الجزء الأول من كتاب العمدة (كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذود عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ.)

وفي عهد الإسلام وخاصة في عصر الدولة العباسية رفع الخلفاء والأمراء قدر العلماء والشعراء وأجزلوا لهم العطاء. وروى عن المأمون أنه كان يعطي زنة الكتاب المترجم ذهباً.

* * *

يقول الدكتور أدلر أحد أقطاب علم النفس الحديث إن معظم ما يرى النبوغ في بعض الناس لا يرجع إلى امتياز طبيعي وإنما يرجع في الحقيقة إلى نقص فيهم وخاصة في أجسادهم؛ وهذا النقص يدفعهم إلى الاعتقاد بأنهم دون غيرهم كفاية فيضاعفون جهدهم لكي يبلغوا نوعاً من التبرز يغطون به هذا النقص. والإنسان العادي الذي ليس به أي نقص في رأي أدلر محدود الأطماع والجهود لا يرى ما يدفعه إلى التبرز. أما الناقص فإنه دائم الإحساس بنقصه يدأب على أن يستره بتفوقه في ناحية من النواحي. وقديماً حاول شيشرون الروماني الألكن أن يكون خطيباً وتغلب على لكنة لسانه وأصبح أكبر خطباء الرومان. وقلما نجد رجلا نابغة إلا وبه شيء من النقص الطبيعي حاول أن

يعتاض عنه بكفاية جديدة لحذق فنا أو طريقة حتى زاد حذقه عن المعتاد فنبغ .

* * *

خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم إياس فوافق والدها وخلت بها أمها فقالت : أي بنية ... أنك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . فكوني له أمة يكن لك عبداً . واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية ، فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة ، فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة ، فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير

وأما التاسعة والعاشرة ، فلا تعصي له أمراً ، ولا تفشي له سراً ، فإن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره . وإياك والفرح بين يديه إذا كان ترحا ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً . فاحفظي وصيتي واعملي بنصيحتي .

* * *

قرأت في مقال أعده مكتب رئيس البوليس في مدينة لندن ما يلي عن بصمات الأصابع :

إن تطور علم بصمات الأصابع قد ثبتت أهميته العظمى لنفع الجنس البشري الذي يعيش في العصر الحديث . أخذ بصمات الأصابع لا يساعد على اقتفاء آثار الجرم وعلى إثبات جريمته فقط ، بل إنه يعمل كذلك على حماية البريء ضد اتهامات لا يكون لها أساس من الصحة .

عندما تنظر إلى راحة يدك ترى خطوطاً عرضية وفجوات صغيرة تبدو أنها تتجه في جميع الاتجاهات ؛ وعندما تنظر إلى أطراف أصابعك ترى أن تلك الخطوط تنتظم نفسها في نموذج خاص . هذا النموذج وتلك الفجوات كانت موضع دراسة العلماء لمدة سنوات وكان من نتيجة أبحاثهم أن توصلوا إلى هذه الحقيقة العجيبة وهي أنه مع أن الخطوط التي توجد على راحة اليد تتكون قبل مولد الإنسان إلا أنها لا تغير شكلها مهما طال عمر الإنسان وتظل واضحة على اليد حتى يتحلل الجسم بالموت . ولم يكتشفوا أن بصمات أصابع كل إنسان تختلف عن غيره فحسب بل أن كل أصبع في اليد الواحدة يختلف عن غيره في تفاصيل النموذج .

ولو اتفق وحدثت إصابة سطحية على الجلد الذي يغطي الأصبع نتيجة حرق أو نتيجة القبض على شيء ساخن فإن الخطوط قد تختفي مؤقتاً ولكنها لا تلبث أن تعود إلى الظهور مرة أخرى متخذة شكلها السابق . ولكن إذا جرحت راحة اليد أو الأصابع جرحاً عميقاً تظل هناك علامة دائمة .

ويعمل بنظام أخذ بصمات الأصابع في معظم أنحاء العالم المتمدين منذ ما يقرب من نصف قرن . وهذا النظام من الدقة بحيث لم يخفق مرة واحدة في تحقيق الشخصية .

الأبيض — سودان   أيليا حليم حنا

دبلوم عال في التربية — دبلوم صحافة

في القـــاع يا رب

للشاعر سعد دعبس

مهداة إلى روح الشاعر البائس «عبد الحميد الديب» «دعبس»

حطمي الزورق يا ريح فقــد طال ظلامي
وجرى الشــك ورائي ومشى الوهم أمامي
فدعي الأمواج تسري في الدياجي بحطـامي
واحمِلي من شاطئ النسيان داري ومقامي

***

حينما تسبح روحي فوق هامات الخــلود
وأرى عمري ســطراً في قواميس اللحود
سوف أحيــا في سنا الفجر وهمسات الورود
مثلمـا شاء خيالي لا كما شــاءت قيودي

***

أنا يا رب شكاة ملهــا سمع الزمان
لم يع الدهر صــداها لجفاها وجفاني
أنا يا رب غريب في زماني ومــكاني
وطني ناء عن العين ومن روحي دان

***

آه لو يسري بي الموج إلى واد بعيــد
حيث لا أحيــا بدنيا ما أحست بوجودي
حلق الباغم فيها وهوى رب القصيــد
آه ضاعت أنغم الأحرار في دنيا العبــيد

***

وأنا ذوبت روحي في أناشــيد خيالي
وتوهمت الصـــدى يبقى على مر الليالي
وإذا بالقـــاع يطويني ولا يدري بحالي
وإذا لحني سراب ضاع في بطن الرمال

***

كيف أشــدو يا إلهي والأعاصير ورائي
عابثات بهنائي ســاخرات بشقائي
كلمــا لاح صباحي لم أجــد إلا مسائي
وإذا أرسلت لحناً خلتــه رجع بكائي

***

لِمَ أشــدو يا إلهي وأنا رهن القيود
وجموع الكون غرقى في بحار من جمود
ليس يدري عالم الموت أناشــيد الخلود
وسواء أنغم الطــير وصيحات القرود

***

تمتمات من فم الأوهام تطوى بسماتي
ورياح الشك حولي عاصفات بصــلاتي
لا تدعني يا إلهي أنتهي بشــكاتي
ربمــا تفني دموعي فأغني بحيــاتي

***

أنا في القــاع ولا شيء سوى القاع أمامي
ربمــا ينعم بالفجر الأفاعي وأنا رهن الظلام
قل لمن يطفو على السطح بعيداً عن حطامي
أنا في القاع ولا شيء سوى القاع أمامي

سعد دعبس

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

تحية قلبية وأخرى قلمية :

أتلقى من حين إلى آخر كثيراً من الكتب التى يهديها إلىّ أدباء تربطنى ببعضهم صلات ود وصداقة ، ولا يربطنى بأكثرهم شىء من صلات الود والصداقة ، وكذلك الأمر فيما يختص برسائل القراء . ومما يؤسف له أن الذين يخرجون الكتب فى هذه الأيام من الكثرة بحيث لا يستطيع الذين يكتبون النقد وهم قلة ، أن يتتبعوهم فيما يكتبون وأن يتحدثوا عن مؤلفاتهم ناقدين أو عارضين ! وليت الأمر يقف بهم عند هذا الحد ، وهو التفضل بإهداء الكتب والاكتفاء بتقبل الشكر ... كلا ، ولكنهم يطلبون إلى الناقد — عن طريق التلويح أو التصريح — أن يكتب عن الأثر الأدبى الذى أخرج ، وأن يثنى على الجهد الفنى الذى بذل ، لقاء ما قدموا إليه من ثمرات القرائح وما خلعوا عليه من أثواب المديح والإطراء ! ويحار الناقد ماذا يقرأ وماذا يدع ، إن وقته لأضيق مما يقدر الذين بعثوا إليه بكتبهم راجين أن يشير إليها من قريب أو من بعيد ، وإنه ليلقى من كتبهم إذا ما قرأها كثيراً من العنت والإرهاق ، وإن كثيراً منها ليذهب فيها الوقت والجهد بلا فائدة ترجى ولا غناء ! .

والدهشة بعد ذلك فى تلقى العتاب إذا ما تحدث عن كتاب فلان وأغفل كتاب علان ؛ الدهشة التى تصاحبها الحيرة فى الاعتذار لمن يهدون إليه كتبهم فلا يكتب عنها فيعتبون ... ماذا يقول لهم وكيف يعتذر إليهم ؟ أيقول لهم إنه لم يجد من وقته متسعاً للكتابة ، أم يعتذر إليهم عن غثاثة الإنتاج وضآلة الجهد وتفاهة المادة ؟ ! أمران كما يقولون أحلاهما مر . وليت الكتاب من أصدقاء وغير أصدقاء يقدرون هذه المرارة ويخففون من وقعها على النفس والشعور ! .

أما أنا فقد آليت على نفسى ألا أكتب عن أى أثر أدبى إلا إذا لمست فيه نفعاً للأدب وفائدة للقراء . وحسب كتاب لم يتحقق فيه هذا الأمل المرجو أن أقدم الشكر على إهدائه ، وحسب صاحبه تحية أقدمها إليه من قلبى ... أما الكتاب الذى يضيف إلى رصيد القارئ ثروة فكرية جديدة فلن أتردد فى أن أقدم إلى صاحبه التحية من قلمى ! .

هذه كلمة عن مؤلفات الأدباء أنتقل بعدها إلى رسائل القراء .

إن بعضها يردد نغمة واحدة لا تكاد تتغير ، وهى الشكوى من إهمال «الرسالة» لكثير مما يرسل إليها من إنتاج أدبى لا ذنب لأصحابه إلا بعدهم عن الشهرة وذيوع الإسم ! أما بعضها الآخر فيحمل إلىّ مقالات وقصائد مصحوبة برجاء مرسليها أن أدفع بها إلى المطبعة لتأخذ طريقها إلى صفحات «الرسالة» وأيدى القراء ، لأن ذوق التواضع من شأنه — فى رأيهم — أن يستجيب لأمثال هذه الوثبات الفكرية والتهويمات الروحية ! .

إن ردى على هؤلاء الذين يحتكمون إلى ذوقى ويطلبون وساطتى ، هو أننى لا أملك لهم غير الشكر والإعجاب ، ولكن إعجابى لن يغنى عنهم من «الرسالة» شيئاً ... إن المرجع الأول والأخير هو ذوق الأستاذ العميد وإعجاب الأستاذ العميد . وإنه فيما أعلم لا يوصد بابه ولا يغلق قلبه فى وجه الذين تلوح له منهم بوادر نبوغ أو نفحات ذكاء أو اكتمال أداة ! أما الشاكون من إهمال إنتاجهم فيستطيعون أن يجدوا الجواب على شكواهم فى هذه الكلمات ، وليثقوا من أن عميد «الرسالة» لا يتردد فى نشر ما يستحق أن ينشر ، ولا فى تقديمه على غيره إذا كان يستأهل التقديم

والدليل على ذلك قصيدة هذا العدد ، فإن صاحبها الناشىء لم يعرفه أحد ، ولم يقرأ له فيما أظن أحد ..

رأى فى السيرريالزم :

يسألنى قارئ فاضل من قراء «الرسالة» عن رأيى فى مذهب «السيرريالزم» عقب أن أتيت على ذكره فى الكلمة التى تناولت فيها بالنقد كتاب «خلف اللثام» ... وهل يقدر لهذا المذهب الجديد الذى غزا ميدان التصوير والأدب فى فرنسا وبعض البلاد الأوربية ، أن تشيع تعاليمه وتستسيغه الأذواق ويستجيب له الفنانون هنا كما استجاب له بعضهم هناك ؟ .

إن رأيى الذى أومن به ولا أحيد عنه هو أن مذهب «السيرريالزم» شعوذة فنية لا أكثر ولا أقل ، سواء فى ميدان التصوير أم فى ميدان الأدب .. إن الفن الذى لا تخرج منه بغير «اللخبطة» لا يعد فناً ! وأى فن هذا الذى لا يبعث فى نفسك وحسك شعوراً بالجمال ولا تذوقاً لألوانه ومعانيه ؟ أى فن هذا الذى لا تلمس فيه أثراً للربط بين فكرة وفكرة ولا بين مقدمة ونتيجة فى أدب

الـكاتب ، ولا تناسباً بين بُعد وبُعد ولا بين زاوية وزاوية فى لوحة الرسام ؟! .

« لخبطة » ولا شئ غير « اللخبطة » ... وحسبك أن تقرأ كتاباً لأندريه جيد وآخر لأندريه بريتون ، وأن تشاهد لوحة من لوحات دى لا كروا وأخرى من لوحات بيكاسو ! إن جيد يمثل الوضوح والصدق والجمال ، فهو قريب إلى عقلك ، قريب إلى قلبك ، قريب إلى ذوقك ؛ لأن أدبه وليد وشائج قوية من صلة الفن بالحيـاة ... أما بريتون فهو هناك فيما وراء الواقع ، أو فيما وراء العقل والقلب والذوق ، أو فيما وراء الشطحات الفـكرية التى تلغى كل صلة بين الفن والحياة !

بريتون فى الأدب وبيكاسـو فى التصوير ، وكلاهما عميد المذهب السريالى فى فنه ... أما بيكاسو فـكان فناناً عظيما يرفع من فنه الخصوم قبل الأصدقاء ، ولـكن انحرافه فى أواخر أيامه إلى هذه الشعوذة السريالية أفقده من كانوا يكبرون فنه ويشيدون بنبوغه وعبقريته ! إن الفارق بين لوحة من لوحات دى لا كروا وأخرى من لوحات بيكاسو ، هو الفارق بين فن يهز فيك مواطن الإحساس بالجمال وفن يهز فيك مواطن الإحساس بالنفور ... إنك تستطيع هناك أن تخرج بشتى المعانى ولـكنك لا تستطيع هنا أن تخرج بشىء !

هذا هو رأيى فى المذهب السريالى ، وأؤكد للأديب الفاضل أن هذا المذهب الجديد لا يشق طريقه فى فرنسـا وهى موطنه الأول بسهولة ويسر ، لأن خصومه الـكثيرين يهاجمونه فى عنف لا هوادة فيه ، ويرمون أصحابه بالدجل والخروج على كل مألوف من أوضاع الفن ! وإذا كان بعض الـكتاب والفنانين قد انحرفوا إلى هذا المذهب واندفعوا فى تيار الدعوة إليه فإنه على التحقيق انحراف إلى حين واندفاع إلى حين ... ذلك لأن الساخطين عليه لا يقـاس إليهم الراضون عنه ، سواء فى مجال الـكثرة العددية أو فى مجال الطاقة الفـكرية ، أو فى مجال الشهرة والتفوق وغلبة الآراء والأحـكام . ولا أعتقد أن مثل هذا الشذوذ فى محيط الأدب والفن يمكن أن يكتب له البقاء هنا إلا إذا كتب له البقاء هناك ، وهذا أمر يشك فى وقوعه إذا ما احتكمنا إلى العقل الذى يزن النتائج على ضوء المقدمات !

حول مسابقة المصور للقصة القصيرة :

لم أكن أعرف أننى محتاج إلى دروس فى فن القصة حتى قدر لى أن أطلع على كلمة فى « البريد الأدبى » وجهها إلى الأديب حسن صادق حمدان فى عدد « الرسالة » الماضى ! ...

لقد رأى الأديب « العالم » أن يعقب على كلمتى التى نقدت فيها رأياً لمجلة المصور عن فن القصة القصيرة ، ولقد جاء فى تعقيبه أننى انحرفت عن الصواب حين قلت إن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والنزعات لا تـكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت ؛ انحرفت عن الصواب لأن مجلة المصور لم تشترط أن تـكون القصص المتسابقة من النوع التحليلى ..

لو راجع الأديب المعقب نفسه ورجع إلى ما كتبت ، لعلم أننى كنت أنقد رأياً ينادى بأن المفاجأة فى ختام القصة تعد أهم أركانها على الإطلاق ، ومعنى هذا أننى كنت أعترض على رأى يغلب عليه التعميم حيث يجب التخصيص ، لأن هناك فناً قصصياً يخرج عن دائرة هذا الحكم الذى لا يفرق بين قصة موضوعية وأخرى تحليلية ، هذا هو ما قصدت إليه فى مجال التعقيب على رأى لا صلة له بما اشترطه « المصور » لمسابقة من تحديد النسـبة العددية لـكلمات القصة بستمائة كلمة ، وإذن لا أكون قد انحرفت عن الصواب ، ولـكن الأديب المعقب هو الذى انحرف عن الفهم !

وأؤكد له مرة أخرى أن القصة الطويلة هى وحدها القياس الفنى الـكامل لمواهب القصاص وطاقة القصاص ، وأن الجهـد الذى يبذل فيها لا يمكن أن يقاس إليه نظيره فى القصة القصيرة . ولقد قدمت له هذا الرأى فى شئ من التفصيل ، وبقى أن أقدم إليه الدليل : إن الأستاذ توفيق الحكيم يكتب « لأخبار اليوم » قصة تمثيلية قصيرة كل شهرين تحتل صفحة واحدة لا تزيد عليها إلا فى القليل النادر ، ويمكنه أن يرجع إليه ليسأله عن الوقت والجهد اللذين يبذلهما فى كتابة مثل هذه القصة ، إنه لا ينفق فى كتابتها إذا ما نضجت الفـكرة فى ذهنه أكثر من بضع ساعات ... هذا فى تمثيلية قصيرة من فصل واحد ، فهل يدرى الأديب المعقب كم بذل توفيق الحـكيم من وقته وجهده فى وضع مسرحيته الجديدة « أوديب الملك » ؟ لقد أنفق فيها من وقته وجهده أربع سنوات لا بضع ساعات !! ثم هل يظن أن العنـاء الذى لقيه محمود تيمور فى كتابة قصة قصيرة مثل « خلف اللثام » يعادل ما لقيه من عناء فى كتابة قصة ضخمة مثل « سلوى فى مهب الريح » ؟ وإذا أراد أن يحكم على الطاقة الفنية عند توفيق الحـكيم فهل تنكشف له هذه الطاقة من مسرحية تحتل صفحة من

« أخبار اليوم » كما تنكشف له من « أهل الكهف » و « بجماليون » و « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » و « أوديب الملك » ؟ ! وهل تنكشف له الطاقة الفنية عند تيمور من قصة قصيرة كما تنكشف له من « نداء المجهول » و « حواء الخالدة » و « سلوى » ؟ ! وبعد ذلك يقول لى فى تعقيبه : « إن كاتب القصة القصيرة يلاقى دفعة واحدة جميع الصعاب التى كانت متفرقة فى القصة الطويلة » ! ... أى صعاب يا أستاذ ؟ إن جى دى موباسان فى مجال القصة القصيرة خير بكثير من أونوريه دى بلزاك ؛ ولكن أنفاسه تتقطع إذا ما حاول أن يجرى معه فى حلبة القصة الطويلة ... هناك حيث رفعت بلزاك طاقته الفنية إلى مرتبة أعظم قصاص فى تاريخ الأدب الفرنسى . إن القصاص العظيم أشبه بالجواد الأصيل ... ذلك الذى لا تتضح طاقته على العدْو إلا فى رحاب المسافات الطويلة !

هذه كلمة لا أعتقد أنها تشق على فهم الأديب المعقب ، وأرجو ألا تشق على أفهام غيره من المعقبين !

الفن عندنا وعندهم :

وقفت فى « الأهرام » منذ أسبوعين عند صورة رائعة المغزى بعيدة الدلالة ، تستحق من كل ذى عينين أن يقف عندها طويلا ليخصها بفيض من إكباره وإعجابه ... أما تلك الصورة الفريدة فقد أشارت إليها الصحيفة الكبرى بهذه الكلمات :

« يقوم الممثل الكبير سير لورنس أوليفييه مع زوجته فيفيان لى بتمثيل مسرحيتهما الجديدة (مدرسة الإشاعات) على مسرح (نيوثييتر) بلندن . وقد بلغ من تهافت الجمهور على مشاهدة هذه المسرحية أن حجز جانب كبير من الأماكن مقدماً لمدة أسابيع ؛ ونرى فى الصورة جمع كبير وقد افترشوا الأرض لقضاء ليلتهم أمام مدخل المسرح ، ليتمكنوا من حجز أماكنهم عند فتح شبابيك التذاكر فى الصباح » .

أناس يفترشون الأرض وفى بيوتهم الفراش الوثير ، ويتحملون مرارة الانتظار وما كان أغناهم عن الانتظار ، ويضحون بالوقت وما أحوجهم إلى كل دقيقة ينفقونها وتعود عليهم بما يشتهون ، ولكنه دعاء الفن ... يلقى منهم آذاناً مصغية ، وقلوباً متلهفة ، ونفوساً تنشد متعة الذوق والفكر والروح .

عندهم فنانون عشقوا الفن وأخلصوا له ، وعندنا مهرجون أجادوا التهريج ونبغوا فيه ... وعندهم جمهور مثقف يستهويه كل جليل من الأمور وكل رفيع من الفنون ، وعندنا جمهور بليد الذوق متحجر العاطفة ، يقضى ليله ونهاره متسكعاً فى الطرقات أو متثائباً على القهوات ! عندهم الوقت يوزعونه بين العمل المثمر حين يناديهم الواجب ، وبين الكتب المفيدة حين تدعوهم المعرفة ، وبين ملاعب التمثيل حين يشوقهم التحليق فى سماء كل معنى جميل ؛ وعندنا الوقت نضيق بطوله ؛ لأنه فراغ وهباء : العمل فى أخلادنا استخفاف بالتبعة وانحراف عن الجادة ، والكتب فى أيدينا مجلات تدغدغ الغرائز بالصور العارية والأفكار العارية ، والترويح عن النفس فى رأينا ميل إلى كل تسلية تافهة وكل لهو رخيص !

هذا هو الفن عندنا وعندهم ... وإذا كنت قد دفعت إلى شىء من الاستطراد ، فإن الحديث فى مجال الفن يغرى به ويدعو إليه ، وحسب المسرح هناك هذا الامتلاء ، وحسبه هنا هذا الخواء !

شهداء المثل العليا :

قرأت بتأثر بالغ تلك الفصول التى كتبها فى « المصور » القائمقام الشهيد فهيم بيومى قبل أن يودع مثله العليا فى الطريق إلى الله ... فصول كتبها بمداد قلمه ثم ختمها بدماء قلبه ، وعلى صفحات « المصور » وفوق ثرى الأرض المقدسة ترك البطل الشهيد وصيته لأصحاب المثل العليا : سطورها من وقدات الفداء ونبل التضحية ، وألفاظها من لفحات الجهاد وصدق البطولة ، ومعانيها من وثبات الوطنية وحرارة الإيمان !

فهيم بيومى ومن قبله أحمد عبد العزيز ومن بعدهما أبطال وأبطال ... وفى سبيل الله والوطن دماء فجرها القدر عيوناً لتسقى بها رمال الصحراء ! لقد كانوا أصحاب مثل عليا ، فى سبيل مثلهم عاشوا على الأرض وفى سبيلها صعدوا إلى السماء : أرواحهم على أيديهم وأنظارهم إلى الأفق البعيد ، وهمساتهم فى رحاب المجد أشواق ... ولقد مضوا إلى غير رجعة ، وبقيت منهم الذكرى تعبق فى آفاقنا بأرج الحب ، وتمطر مآقينا بدموع الوفاء ، وتملأ تاريخنا برنين الخلود ! يا رحمة الله لكم يا أبطال !.. لقد كان شاعرنا ينطق بلسانكم حين قال :

أخى إن جرى فى ثراها دمى ... وأطبقت فوق حصاها اليدا
ففتش على مهجة حرة ... أبت أن يمر عليها العدا
وقبل شهيداً على أرضها ... دعا باسمها الله واستشهدا

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

قضية أدب وفن :

يذكر القراء ما كتبته[1] عن تغزل الهائمة أماني فريد في الدكتور ابراهيم ناجي ، والعكس ... وكان اهتمامي بالكتابة في هذا الموضوع لأني وجدته أمراً جديداً يستحق الوقوف عنده .

ولا شك أن تغزل امرأة برجل معين على صفحات منشورة قفزة جريئة بالغة الجرأة ، يتهيبها الرجل فضلا عن المرأة ، والمرأة الشاعرة نفسها لا تزال تتردد في خطوة تسبق تلك القفزة ، وهي أن تتغزل غزلا غير محدد كما يفعل الرجل .

وقد حفزني على العودة إلى هذا الموضوع ما تلقيته من الرسائل وما سمعته من الأحاديث تعقيباً عليه وصدى له ، وكلها تعبر عن الارتياح إلى ما كتبت ، عدا رسالة واحدة حوت لوى عليه ، وهي من الهائمة أماني فريد ، تقول في أولها : « إني لجد خجلة من أن أرى كاتباً وأديباً لا يستطيع أن يفرق بين الملاقات الأدبية بين الشعراء وغيرها من الملاقات التافهة العابرة » . وكنت أحسبها خجلة لغير هذا ، فاذا هي خجلة بالنيابة عني ... وبعد كلام آخر لايفيد في الموضوع تختم رسالتها بقولها : « والعجيب أن الرجل المصري لا زال يحقد على المرأة إذا رآها استطاعت أن تبزه وتنتج ما لايستطيعه هو ... فرفقاً يا سيدي وكن في أحكامك متوخياً العدل حتى لا تسم كتاباتك بسمة النقد الجائر ... كنت أنتظر أن أسمع منك ومن غيرك من النقاد الأفاضل كلة مدح وتشجيع لا قدح وإثباط للهمم » .

وأترك جانباً مسألة حقد الرجل على المرأة وبزها له : لننظر هل أنا ظلمتها ، وهل ما صنعته هي يستحق المدح والتشجيع ؟ قد يستحق غزلها في الدكتور ناجي مدحه وتشجيعه ، وقد فعل ، كيلا بكيل ... ولست أدرى علام المدح والتشجيع ، أعلى « الملاقات الأدبية بين الشعراء » ، أم على قيمة الإنتاج ؟

أما « الملاقات » كما بدت في مجلة « العالم العربي » ، فقد استنكرها من حدثوني ومن كتبوا إلي . كتب الشاعر النابغ الأستاذ ابراهيم محمد نجا : « وقد ارتاحت نفسي إلى حديثك عن الملهمة (فلانة) ، والدكتور (عمر بن أبي ربيعة) ، ذلك الحديث الذي تشيع فيه السخرية التي تبعث الألم وتورث الإشفاق ، وقد كنت أحب يا أخي الفاضل أن تصرح بأن هذه الأبيات المنسوبة — إلى تلك الهائمة — ليست من صنعها ، وإنما هي من صنع صاحبها المتيم ، يعرف ذلك كل من قرأ شعر الطبيب الشاعر ، ويعرف ذلك أيضاً كل من عرف هذه الهائمة ، وعرف (مقدرتها) على نظم الشعر » . ويقول الأديب صبري حسن علوان بكلية العلوم : « وماذا تريد أماني من الأماني ؟ أأن تكون ليلى القرن العشرين ، حتى يكثر في حبها المجانين ... أم أن تناجى . وليس إلا أن تناجى ... أم أنها رأت الجرائد والمجلات لا تنشر إلا كل غريب جديد ، فبالغت في الإغراب والتجديد ... ؟ »

أما من حيث الإنتاج نفسه ، فأنا لم أعرف الهائمة ولم أعرف « مقدرتها » على نظم الشعر ، ولكني أعرف الشاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجي (خليفة عمر بن أبي ربيعة) وأعرف شعره ، وأزعم أني أجد ريحه في الأبيات المنسوبة إلى الهائمة . وننظر في الأبيات من ناحية أخرى ، وهي ناحية الصدق في التعبير ، تقول :

تعال إلى القلب بعد العذاب فقد مر عمرى وولى سدى
يناديك قلبي هوى واشتياقاً فما لك لست تجيب الندا

فاذا فرضنا أنها كانت في عذاب قبل الدكتور ناجي ، وأن عمرها ذهب سدى قبل الهيام به ، وأن قلبها يناديه ويهواه ويشتاقه ، فهل هو لا يجيب الندا ؟ ما أظن ذلك . وتقول :

أبيت على لهفة للقاء ولكن أخاف حديث العدا
فكم ليلة يا قرير الجفون تركت جفوني بها سهدا

ولنفرض أيضاً أنها باتت تتلهف على لقائه ، فهل تخاف حديث العدا من تنشر هوى قلبها على العالم العربي ... ؟ وهل من مقتضيات « الملاقات الأدبية بين الشعراء » أن يبيت الشاعر قرير الجفون ويترك جفون الشاعرة يستبد بها السهد ليالي كثيرة ؟

(١) العدد ٨١٢ من الرسالة

وتتابع البحث عن صدق التعبير فنرجع إلى الأبيات التى نشرت للهائمة فى « البلاغ » وجاء فيها هذا البيت :

أرانى شقياً حزيناً
فيا نفس أين الرجاء

وكان ينبغى لتكون صادقة التعبير أن تقول إنها « شقية » أما « الشقى » فهو غيرها ...

وأنا أعلم أنه لا يرضيها أن تحلل «أبياتها» على ذلك النحو ولكن كيف رضيت أن تقولها ؟ أو تظن أنها لا تشتمل على ما يثقل التبعة ؟ هى مسكينة على كل حال ، ولكنا بإزاء باب جديد فى الأدب نرى أنه لا يفضى بنا إلى خير ، ولو أنا وجدنا وراء هذا « السلوك الأدبى » فناً أصيلا لكان من المحتمل أن نجد مجالا للاغضاء أو العزاء .

والقضية قضية أدب وفن أكثر منها قضية مسلك اجتماعى؛ فليس لمعترض أن يدفع بالحرية الأدبية التى تخول لكل أديب أن يعبر عن نفسه فى صراحة وصدق ، فالوقائع فى قضيتنا غير مبنية على الصدق فى التعبير كما بينت ، ولك أن تلمح ما يدل ذلك عليه من عدم الأصالة ، أما الصراحة فهى مفتعلة لجذب الأنظار . وهذا كله مع غض النظر عن تفاهة القول وانعدام الجودة فيه .

كشكول الأسبوع

* كان يوم الإثنين الماضى موعداً لانتخاب أحد المرشحين لملء الكرسى الخالى بالمجمع اللغوى . ولكن لم يبلغ عدد الأعضاء الذين حضروا الجلسة حد النصاب القانونى ، فتأجل الانتخاب أسبوعاً .

* كانت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول قد أعلنت عن رحلة إلى الوجه القبلى فى عطلة نصف السنة ، فتقدم إلى الاشتراك فيها طلبة شرقيون من غير المصريين ، ودفعوا قيمة الاشتراك وسجلت أسماؤهم . ثم حدث عند القيام بالرحلة أن علم هؤلاء الطلبة أن عميد الكلية أمر بحذف أسمائهم جميعاً منها .

* وصل إلينا العدد الأول من مجلة « صوت الجيل » التى تصدرها مدرسة أربد الثانوية بشرق الأردن ، وهى مجلة حافلة بالموضوعات الأدبية والثقافية ، وتدل موضوعات الطلبة خاصة على الاتجاه الأدبى القويم الذى يسلكه الجيل الأردنى الجديد .

* نعت جامعة أدباء العروبة المرحوم على الجارم بك فى جريدة الأهرام على أنه علم من أعلامها . والجارم علم حقاً ، ولكنه لم يكن من أعلام جامعة أدباء العروبة .

* كانت قصيدة المرحوم الجارم بك فى تأبين النقراشى باشا من عيون الشعر ... وكانت كلمة الأستاذ على عبد الرازق باشا فصلا أدبياً قيما وخاصة فى تحليل الحزن وتقسيمه إلى حزن عقل وحزن عاطفة .

* سأل قارئ بمجلة المصور : ألم يكن إنشاء مدرسة تعلم أبناء الشعب أولى بثمانية آلاف الجنيه التى منحتها الحكومة لفرقة الباليه على تسليتها أولاد الذوات ؟ فردت المجلة بأن السائل مخطئ ، لأن الحكومة حصلت من الفرقة أكثر من هذا المبلغ ضريبة ملاه . ونسأل نحن : هل تمنح الحكومة محلا تجاريا ٥٠ جنيها لأنها تحصل منه ٦٠ جنيها ضريبة أرباح مثلا ؟

شاعرة خفرة :

ولعل « حقد الرجل المصرى على المرأة التى تبزه » لا يمنع أن نقضى لحظة مع الآنسة « ن . ط . ع » فى عالم الخيال . وهذه الآنسة تمثل طرف النقيض الثانى .. وقد استرعى انتباهى ما تنشره « البلاغ » لها من قطع شعرية تصور حياة فتاة غريبة فى هذا العصر المتبرج الصاخب، هى فتاة تصور نفسها ونوازعها فى شعرها ، تقول فى قطعة بعنوان « الغد » .

يقولون فى الغد يأتى الهناء
ترى أين ذاك الغد المنتظر
أيقبل بعد الشقاء النعيم
كما يقبل الصحو بعد المطر ؟
إذا كان هذا نظام القضاء
أصبحت أسعد من فى البشر
ولكننى قد رأيت الزمان
أصم السريرة أعمى البصر

إلى أن تقول :

فيارب رد طمأنينتى
على ، وصن لى هذا الخفر
فإنى البريئة فى عالم
كثير الغواية جم الخطر

فهذه فتاة تتشوف غدها حذرة حائرة ، لم يمنعها الخفر من صدق التعبير عن مشاعرها صانها الله وأدام لها الخفر .

وتقص علينا قصة رمزية مبينة في قصيدة بعنوان « عقل وقلب » تتخيل فيها أن القلب يستغيث بها من سطوة العقل ويقول :

يا ويح للقاسي
أسمعت أندادي
وتهكم الناس
في خارج الوادي
—
مغرورة قالوا
تحيا على الآل
مـــرورة خالوا
من شقوة الآل
—
يا ضيعة العمر
في ذلك السجن
محبوسة الفكر
في ميعة السن

ثم تقول :

أطيع ذا القلبا
وأجيب إحساسي
وأجرب الحبا
وأعيش كالناس

ويكاد القلب يبلغ بحجته ، ولكنها تعتصم من رغباته ، وتقول :

ورجعت أدراجي
أتجانب الناسا
في برجي العاجي
أتذوق الكاسا
—
كاس من الطهر
وهناءة البال
والفن والشعر في برجي العاجي

وتصر على التشبث بالشرغاية ومثلا ، وتقول :

هل يأخذ القبر مني سوى جسمي
والصيت والشعر لن يتركا اسمي
سأصير شاعرة
من قادة الفكر
أنا لست ساخرة
يا قلب من يدري

وأهم ما في هذا الشعر أن به روحاً ، والشاعرة موفقة في تصويره تصويراً يبرزه حياً ، وإن كان في حاجة إلى مزيد من العناية من حيث إخضاع التعبير ويتحقق ذلك بالتأمل في المأثور وكثرة المعالجة . والفتاة الآنسة وإن كانت في أول الطريق إلا أنها على الجادة، تهديها إلى الغاية موهبة صادقة مخلصة . فهيا يا آنسة ن . من يدري ...

القياس في اللغة :

أنبت في الأسبوع الماضي على ملخص مضغوط لمحاضرة الدكتور أحمد أمين بك « مدرسة القياس في اللغة » التي ألقاها في مؤتمر المجمع اللغوي ودعا فيها إلى الاجتهاد في اللغة . وأذكر الآن أن الأعضاء الذين عقبوا على المحاضرة بالمناقشة أجمعوا على الإشادة بها وإن كانوا قد خالفوه في بعض أجزائها وخاصة من الناحية التاريخية . وقد عبر الدكتور أحمد زكي بك عن ذلك فقال إن التعليق على المحاضرة بتصحيح هنا وتخطيء هناك لا يؤثر في غايتها وإنما تهمنا هذه الغاية . وقال الدكتور طه

* قرر مجلس الإذاعة تأليف لجنة لمفاوضة أم كلثوم فيما تشترطه من إذاعة أشرطتها الستة الموجودة في محطة الإذاعة ١٢ مرة في الشهر ، وهي تأخذ على إذاعة الشريط في المرة الواحدة ٦٠ جنيهاً ، فهي تريد ٧٢٠ جنيهاً في الشهر لمجرد إذاعة أغان سبق أن أخذت أجرها .

* لم تعلن إدارة الإذاعة إلى الآن نتيجة مسابقة « التمثيليات » الزمنة بها . ومجلة الإذاعة تكتب بكل عدد أنها ستذيع نتيجة هذه المسابقة في العدد التالي . كما يكتب على دكاكين البقالة « الشكك غداً » فإذا جاء الغد صار يوماً حاضراً له غد جديد ...

* يكاد مكان الدراسات الاجتماعية يعد خالياً في ميدان التأليف عندنا . ومن القليل في هذا الباب كتاب « سياسة جديدة لوطن جديد » الذي أصدره أخيراً الأستاذ سيد مصطفى وهو يدرس نواحي الحياة المصرية دراسة تطبيقية .

* جاء من لندن أن شركة لونجمان جرين ستنشر مجموعة قصص مصرية مترجمة إلى الإنجليزية ، تتكون من ثلاثين قصة للأساتذة محمود تيمور وتوفيق الحكيم والمازني ونيكري أباظه وسعيد عبده .

* أتمت دار الكتب المصرية طبع الجزء الثاني من كتاب أشعار الهزليين ، ويباع في الدار بأربعين قرشاً . وحبذا أن تراعي الدار في تقدير أثمان كتبها نفقات الطبع والورق فقط لتكون في منال طلاب الأدب .

* تعمل وزارة المعارف على إنشاء فرقة نموذجية خاصة لطلبة المعهد العالي لفن التمثيل تهدف إلى الفن الرفيع من غير اعتبار للناحية التجارية .

* في أول عهد التمثيل بمصر كان الحوار يجري على المسرح بالسجع ، ومن ذلك أن الملك في إحدى الروايات يقول للبواب : من بالباب ، أيها الهاب ؟

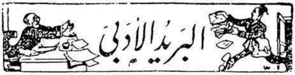
حسين بك : ليس علينا خطر من أن نبيح لأنفسنا ما أباحه العرب لأنفسهم من قديم الزمن ، ولا نزاع أن المحاضرة لا تمثل اعتدال الدكتور أحمد أمين بك فقط ولكنها كذلك تمثل محافظاً في تجديده .

وقد تليت النتائج الخمس التي ذكرتها في الأسبوع الماضي ، فوافق المؤتمر على الأربع الأولى ، ودارت مناقشة في النتيجة الخامسة التي تتضمن جواز ارتجال كلمات جديدة ، فقال الدكتور عبد الوهاب عزام بك : يجب أن يقتصر وضعنا للكلمات على ما نحتاج إليه فقط . وقال (الرحوم) الجارم بك : أريد ضابطاً لهذا الأمر . فقال الدكتور طه : الضابط هو أصول اللغة العربية في قبول الألفاظ الأجنبية . وسأل الشيخ عبد القادر المغربي : هل الارتجال يضر سلامة اللغة ؟ فلو اخترع أحد لعبة وارتجل لها كلمة مثل (دمخ) فهل يجيزها المجمع أو لا يجيزها ؟

ثم رئي أن يتخذ في الموضوع قرار عام هذا نصه :

« الأخذ بمبدأ القياس في اللغة على نحو ما أقره المجمع سلفاً من قواعد وجواز الاجتهاد فيها متى توافرت شروطه كما أشار إلى ذلك الدكتور أحمد أمين بك في محاضرته (مدرسة القياس في اللغة) » .

عباس خضر



حرية الأدب والفن :

إن المناقشة التي دارت في المجمع اللغوي بين الدكتور أحمد أمين والدكتور طه حسين في حرية الكاتب وتقييده بأهداف معينة — وعلينا الشكر للأستاذ عباس خضر على نشره لموجز أدلة الفريقين — إنها لمناقشة جديرة باهتمام كبير وإن كان الموضوع قد قتل بحثاً ودرساً في الغرب منذ أن اتفق لفيكتور هيكو اختراع قوله « الفن للفن » فقد كان الصراع بين أنصار هذه النظرية — نظرية عدم استخدام الفن لأغراض معينة — وخصومها ، ومن بينهم هيكو نفسه ، قوياً حاداً طيلة القرن الماضي . ولسنا نحن الشرقيين في حاجة إلى « تمثيل » ذلك الصراع في بلادنا وترديد آراء الغربيين في مسألة كهذه ؛ لأن الغربيين هم كما قال الدكتور إقبال الحكيم الشاعر الهندي « يكتشفون ويتتبعون مسير النجوم في السماء ، ولكن لا يسعهم أن يهتدوا إلى الطريق في دنيا الأفكار » لا يؤمل منهم أن يصلوا إلى رأى قاطع حازم فيما يتعلق بالمسائل الأخلاقية ، مع أن تفوقهم في العلوم الطبيعية لا يسع أحداً إنكاره في العصر الحاضر . والحقيقة التي يجب أن نتأكد منها ونذكرها دائماً ، هي أن الاختلاف والتجدد في الرأي والتقدم — تلك الكلمة التي يحلو لنا الإكثار من النطق بها — إنما هو مفيد مثمر في حقل المسائل الطبيعية دون ما ينتمي إلى الأخلاق والمبادئ التي يبتني المجتمع عليها ؛ فإن الحرية بشأن التعرض لها إنما تؤدي إلى عدم الاستقرار والفوضى الاجتماعية ، وعلاوة على ذلك فإن الحرية لا تتميز عن الفوضى إلا بأن الأولى تتحدد بحدود معروفة ، والثانية لا حدود لها .

وخلاصة القول أن المسلمين في غنى عن مثل هذه المناقشة في المسائل الأخلاقية والاجتماعية ، لو أنهم ردوها إلى الإسلام وسيرة الرسول . لننظر إلى قوله تعالى : والشعراء يتبعهم الغاوون وقول النبي في امرئ القيس بأنه قائد الشعراء إلى النار ، ولنتقارن هذا وذاك بما هو معروف من تشجيع النبي لحسان بن ثابت وإنعامه على كعب بن زهير ، ثم لنتأمل لعلنا نجد فيه حكما فصلا بأن الفن ليس للفن ، بل إنه عامل من العوامل الشديدة التأثير في النفس وفي الحياة ، ولذلك يجب أن يخضع لقاعدة التنظيم الاجتماعي حتى يخدم أغراض المجتمع الخاصة ولا يخرج عليها . وهذا هو تفسير تلك القيود التي وضعها الإسلام على بعض نواحي النشاط الفني والتي ربما تثقل على دعاة حرية الفن ؛ فإن كل ما يدعو إلى الوثنية أو أخلاق الجاهلية إن كان من الفن فهو فن سوء ، ولا مجال للاعتراف به في نظام شامل كالإسلام الذي يكفل حياة جد وعمل داعين في سبيل الخير لا حياة لهو وترف في حال من الأحوال . وكذلك الانهماك في اللذات والتعبير عنها تعبيراً صادقاً مثل حكاية طروق حبلى ومرضع ، فإن هذا النوع من الحرية للأدب التي يدعو إليها بعض الكتاب الفرنسيين ويعجب بها بعض كتابنا البارزين — لا توجه الإنسانية إلى سواء السبيل وحسن المصير ، بل تعاون على صرف النظر والذهول عن سوء الحال وخير المستقبل وتسبب الفتور في العزيمة والركود في التعمير . لاشك أن مدار الفن على التعبير الصادق ولكن هل يتحول الشر

بمجرد كونه موضوعاً لمثل هـذا التعبير إلى الخير ؟ أفلا يجب على الـكاتب إذا اتخذ الشر موضوعاً لعمله أن يعالجه بحيث يبغضه إلى القراء ؟ ولا يقل أحد أن فى ذلك إرهاقاً للـكاتب لأن الـكاتب الذى حبب إليه الشر أو قلّ نفوره منه عن نفور الجمهور هو عدو للخير والمجتمع قبل أن يكون كاتباً أو شاعراً . أما القول بأن مذهب الفن للفن ليس له أية صلة بالأخـلاق فإنه سينتقض إذا راعينا هـذا الجانب نفسه أعنى جانب الموضوع الذى يقع عليه اختيار الكاتب ، كما أن حسن التصوير أو قبحه من الناحية الأخلاقية لا يكمن فى الفن نفســه ، بل يأتى من الموضوع الخارجى له . وعلى كل حال فإن الأدب الذى لا يرى إلى غاية إنما مثله مثل هز الأرداف العارية الذى يسمي فن الرقص فى بعض الحانات ولكل منا رأيه فى مدي جدواه للمجتمع والأخلاق والإنسانية .

السيد محمد يوسف المهندى

معنى المكروفوله :

اطلعت فى عدد الرســالة الغراء (٨١٤) على مقالة صاحب العزة الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الوهاب عزام بك بعنوان « من آفات هذه المدنية » وفيه ذكر عزته أن المكروفونات (الجاهر) تسبب ضوضاء ... الخ وبودى فى هذه الرسالة العاجلة أن أبين من الناحية العلمية خطأ ما سار عليه البعض فى تسمية هذه الأجهزة بالميكروفونات .

فهذه الأجهزة من الناحية العلمية تسمى Public Addreas Systems وهو ما يمـكن ترجمته « أجهزة مخاطبة الجماهير »

وتتركب هذه الأجهزة من ثلاثة أجزاء رئيسية :

الأول : المـكروفون Microphone ووظيفته تحويل الموجات الصوتية الحادثة أمامه إلى موجات كهربية .

الثانى : جهاز تكبير amplifier ووظيفته تكبير الموجات الكهربية الواصلة إليه من المكروفون وهو مركب من عدة صمامات لاسلـكية بطريقة تختلف من وقت إلى آخر .

الثالث : مضخم الصوت Loud Spea Ker ووظيفته تحويل الموجات ـــ الكهربية ـــ الواصلة إليه من المكروفون عن طريق المـكبر -- إلى موجات صوتية .

وبذلك تصل الموجات الصوتية الحادثة أمام الميكروفون إلى جمهور المستمعين مكبرة مضخمة (عالية) .

والمـكروفون متصل بالمـكبر بسلك كهربى

والمـكبر المتصل بمضخم الصوت بسلك كهربى أيضاً .

لذلك رأيت أن أكتب إلى حضرتـكم راجيا الإشارة إلى ذلك فى مجلتـكم الغراء لما فى إطلاق اسم ميكروفون على هذه الأجهزة من خطأ علمى .

أحمد محمد حلمى
مهندس لاسلـكى

فى التعزية عن مصيبة الموت (الرافعى) :

لما فجع الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك فى وحيـده (أمين) رحمه الله عزاه السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله عن فجيعته ، بهذا الخطاب المؤثر البليغ :

سيدى الأخ الأستاذ الجليل .

كنت مسافراً وعلمت بالنبأ الفاجع الذى يتكلم عنـده الصمت : إنا لله ! لقد دفعك الإيمان إلى أشد معاركه فى هـذه الفجيعة ، وكأنك الجبل الباذخ لا تريد الحـكمة الآلهية أن يستند إلى شيء ليكون جلاله ظاهراً بنفسه

« إن قلبك العظيم يحتمل الزمن بما فيه ، ولـكن الذى هو أشد من حمل الزمن ، هذه القطعة الصغيرة من الماضى .

أسأل الله أن يثبتك بما ثبت به النبوة ، وأن يضاعف لك بالصبر والإيمـان قوة على قوة ، وأن يجعلك من الذين عليهم صلوات من ربهم ورحمة .

ولما احتسب الدكتور شخاشيرى طفلا له لم يجد فى مرضه طب أبيه ولا علمه « وخرّ العلم والطب على أقدام الموت جرى على لسان الوالد الحزين هذا البيت من الشعر » .

أين الســعادة والأيام تأباها مرت علينا فلم نشعر بمجراها

وبعث بهـذا البيت إلى صديقه الرافعى رحمه الله . فأجابه بالأبيات الحـكيمة الآتية :

الله أوجدها للناس قاطبة ... فما الذى عن جميع الناس أخفاها
لا ذلك المال سواها لنا ذهباً ... ولا من الطين هذا الفقر سواها
والعمر فى وهمها ضاعت حقائقه ... كأنما هى نحيا بين موتاها
فسل منار الورى عن هم أولها ... وسل شيوخ الورى عن هم أخراها
إن السعادة أن ترضى بلا غضب ... وكيف ذاك بدنيا لست ترضاها

وكتب الرافعى رحمه الله إلى صديق يعزيه قال :

المصيبة حرسك الله ، وإن كانت أكبر من التعزية لكن ثواب الله أكبر من المصيبة ، والإيمان بالله أكبر من الثواب ، وما آمن بالله من لا يثق به ، ولن يثق به من لا يطمئن إلى حكمته ، ولا اطمأن إلى حكمته من لا يرضى بحكمه ، ولا بحكمه من سخط على ما ابتلاه . ولقد عرفتك من أوثق الناس إيماناً فلتكن من أحسنهم صبراً وأجلهم عزاء . ونحن الضعفاء المساكين إنما نعامل الله بما يصيبنا به ، فإن جزعنا فقد بلغنا حق أنفسنا فلا حق لنا من بعد ! وكأنما أصبنا مرتين ، وإن صبرنا فما أحرى أن يكون الصبر على المصيبة هو ربح المصيبة والسلام .

ولما مات أخوه كامل بك الرافعى قال يشكر الناس :

« تتوجه أسرة الرافعى إلى الله بقلوبها المتوجعة الحزينة تستلهمه فيما تشعر به ما تشكر به ، فلئن كان رزؤها فى فقدها أليما ، لقد كان عطف الأمة عليها كريماً . والحمد لله الذى لا يأس من روحه ، بيده الخير يجمله ما يشاء فيما يعطى وفيما يمنع ، وهو القوى العزيز فيما يصيب به ، لكنه الرحمن الرحيم فيما يثيب عليه .

فاللهم اجز بفضلك عنا أحسن ما جزيت كل من واسانا أو توجع لنا أو عطف علينا ممن ساروا فى الجنازة أو جاءوا للتعزية ، أو حضرت رسائل عطفهم براً وبريداً ، ندعوك اللهم أكرم مدعو ، فكن اللهم أكرم مستجيب .

رحم الله الرافعى رحمة واسعة .

(المنصورة) محمد أبو ريه

الأحرف السبعة :

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فى « عدد الرسالة ٨١٥ » ، فكان من الواجب الحتم أن أتم ما كتبه بكلمة أنقلها من مقالة للأستاذ محمد زاهد الكوثرى المتخصص فى هذا الشأن الخطير ، لأنه كان أستاذ علوم القرآن فى معهد التخصص باسطنبول :

تواترت الأحاديث فى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، لكن اختلفوا فى تفسيرها إلى نحو أربعين قولا ، لا تعويل إلا على أقل قليل منها . قال الطحاوى فى مشكل الآثار : إنما كانت السعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم ، فوسع لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه ، فلم يسعهم حينئذ أن يقرأوا بخلافها . اهـ . قال القرطبى : قال ابن عبد البر : فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد . اهـ وقد أطال الطحاوى النفس فى مشكل الآثار (ج ٤) فى تمحيص هذا البحث بما لا تجد مثله فى كتاب سواه . ومما قاله هناك إن ذلك توسعة من الله تعالى عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه ، وإن كان الذى نزل على النبى صلى الله عليه وسلم إنما نزل بألفاظ واحدة .اهـ

فإقامة المرادف مقام اللفظ المنزل كانت لضرورة وقتية نسخت فى عهد المصطفى عليه صلوات الله وسلامه بالعرضة الأخيرة المشهورة .

عبد الله معروف

الكتب

على هامش الأدب والنقد

تأليف الأستاذ على أدهم

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

الأستاذ على أدهم واسع العلم عريض الاطلاع عميق التفكير؛ أعنى أنه جمع الأبعاد الثلاثة فى حيز ذهنه، وأبى إلا أن يجمعها بالبعد الرابع لكى تستوفى النسبية قسطها من قلمه، وهو فيض الإنتاج. فقد أخرجت المطابع له إلى الآن ١٢ كتاباً. والله يعلم بما عنده من كتب أخرى معدَّة للطبع.

وقد قرأت أمس له كتاباً ممتعاً عنوانه «على هامش الأدب والنقد» افتتحه بفصل «النقد والشخصيات» وإذا به يستفيض فى الأدب النفسى بحيث يجرد الأديب والعالم عن أنفسهم ويجعل لهم كياناً غير شخصياتهم. والنقد يتوجه إلى هذا الكيان.

ثم تناول التقدير الفنى بين النظريتين العلمية والفنية. وبسط الفرق بين العلم والفن ببحث جامع مانع. ثم عطف على فن كتابة التراجم وبحث نشأته وما طرأ عليه من تطور فى الكتب المقدسة فى الصين والهند ومصر الخ. واسترسل إلى العصر الحاضر.

وفصله فى النقد الفنى بين المذهب الاجتماعى والفردى دفعه إلى فيافى الفلسفة النفسية والعقلية والفلسفة العامة فأعطاك دراسة فيهما لا أظن أن لها ضريبا فى مباحث الآخرين، إلى أن ساقه البحث إلى الكتب والكتاب، ثم ارتفع به إلى أثر النبوغ والعبقرية فى الأدب والفن، وشرح لنا الفروق بينهما. وهو بحث لا شك فلسفى عميق. إلى أن قذف به النقد إلى دار الشيطان (أعيذه منها) فى الشعر الحديث. وقد راجعت هذا الفصل مرتين لما وجدت فيه من متعة عقلية ونفسية.

ثم تساءل قائلا: هل تجدى مطالعة التاريخ (الفقير بالخرافات) وهناك أبحاث لا تخطر لك على بال تدلك كيف بدىء التاريخ منذ سبعمائة سنة ميلادية. وهى بدء الكتابة بالحروف الصوتية التى يقال إنها من اختراع الفينيقيين. وجرى على ما اعتور التاريخ من الغث والسمين والحق والباطل والعلم والجهل إلى غير ذلك من طبائع التاريخ.

ثم تحول من هذه المباحث العلمية النقدية إلى نقد المتنبى الشاعر العظيم، وشرحه تشريحاً نقدياً وكشف لك عن سريرته ودل على قلبه ونزعته وطموحه فوصفه فى تدينه وغروره وحزنه ومكانته فى أهيل عصره (كما يسميهم هو) ونظريته فى حساده؛ حتى إذا خرجت من هذه النقدات التى كانت كمدى المشرح فى البدن السمين ظهرت لك أخلاق المتنبى ونفسيته وانجلى لك المتنبى الحقيق كأنك عشت معه.

ثم نال أبو تمام قسطاً من نقده فقابل بينه وبين المتنبى بحيث ترى أن أدهم دخل إلى سريرة هذين الشاعرين العظيمين وظفر بمزية كل منهما فى الشعر.

ولم يحرم الشاعر ابن هانىء من كلمة فلسفية رائقة فيه، ويريك أن شعره يغرى بالأبيقورية، وهى أن الحياة فى نظره فترة قصيرة ونهزة عارضة ... وليست جديرة بأن يقضيها المرء فى طلب الغايات البعيدة وليس فيها أعماق سحيقة ترهب الناظر. وفى الوقت نفسه كان يقنص اللذات؛ فهو يعيد حياة سليمان الحكيم الذى ماترك متعة إلا تمتع بها، وأخيراً قال: باطل الأباطيل، الكل باطل.

ولأدهم بعد ذاك فذلكات عن سير بعض الخلفاء. وفذلكة عن أدب رابندرانات طاغور الشاعر الفيلسوف الهندى الذى هو خير أنموذج للأدب الوطنى.

فى هذا الكتاب الفذ فى موضوعاته ومباحثه تجلت مقدرة الأستاذ على أدهم فى التفكير والتعبير والتحبير.

روضات الفردوس:

ثم إن الأستاذ على أدهم أتحف اللغة العربية بتحفة نادرة المثال فى كتابه الأخير روضات الفردوس وهو محاضر مناقشات لأرواح

أعلام التاريخ فى جميع المذاهب الاجتماعية المختلفة . وقد تولى العالم جيتى رئاسة هذا المجلس الخيالى . وكان أبرز المتناقشين فيه كارل ماركس أبو الاشتراكية . وقد احتدم النقاش بينه وبين فولتير فيما آل إليه الأمر فى روسيا عن يد لنين الذى اعتنق إنجيل ماركس بحروفه ، وفحواه أن الاشتراكية لا تقوم على يد الأكثرية فى البارلمان بل على يد الثورة .

وكانت مارى ستيورت ملكة فرنسا وسكوتلاندا فى هذا المجلس الروحانى ، وكانت كل هنيهة وأخرى ترمى كلمة تحاول بها أن تزج نفسها فى المناقشة ، ولكنها كانت كالسيدة التى تشتغل فى التريكو تقول الكلمة وتخاف أن تخطىء فى القطبة .

والعجيب أن نابليون تكلم فى الخلق . وعنده أن العقل بغير الخلق نكبة على الأمم . فهو شعلة يحملها طفل ويجب إطفاؤها بأى ثمن حتى ولو اقتضى ذلك موت حاملها . ولكن كارل ماركس جبهه بقوله : هذا ما فعله تلميذاك هتلر وموسولينى . وما تسميه خلقاً أسميه أنا جشعاً ، وما تسميه ظهوراً وصعود نجم ليس إلا تكديس الأرباح المسروقة من جيوب الموجد الحقيقى للثروة .

فيسأله جيتى : من هو موجدها ؟ فيجيب كارل ماركس : هو العاقل الصعلوك .

وهكذا يتمادى كارل ماركس فى النقاش بجد ويتدخل فولتير ومارى ستيورت وجيتى . وإذ يقسم نابليون الدولة إلى ثلاث طبقات : القادة ، وهيئة الضباط ، والجند ، تنبرى الملكة مارى ستيورت وتضيف إليها طبقة رابعة وهى طبقة النساء . ولكن نابليون لا يعطيهن أهمية اجتماعية خارج المنزل . فى كل هذه المناقشات يكون صوت كارل ماركس ملعلعاً .

ثم يأتى وشنطون محرر أميركا ويجتهد أن يدخل الرب فى الموضوع فيحتدم النقاش بينه وبين فولتير . ثم ينبرى نابليون ويزج البابوية والإمبراطورية فى البحث . ويكون جيتى فى كل موضوع ممسكا الميزان لتأييد الاعتدال والعدالة .

وهكذا ينتقل الجدال من الاشتراكية إلى الشيوعية إلى الدين إلى السياسة إلى جميع المذاهب الاجتماعية وأخيراً إلى الحرب . ونابليون يؤيد القوة كعامل للحضارة . ووشنطون يؤيد الإيمان كأساس لها .

ولما اشتد الخلاف استدعى جيتى روح أحد الشيوخ الأحياء وهو يغط فى نومه فى البرلمان . وسأله عن سياسة أميركا الحالية . فقال له : إننا نسير غير مرتبطين باتفاقات دائمة مع أى جزء من أجزاء العالم .

ويحتدم النقاش بين وشنطون والسناتور (الشيخ) إلى أن يتطرق إلى عصبة السلام وكانت فى رأى وشنطون ثوب تنكر لعصبة الحرب ونصحاً بالابتعاد عنها .

وهنا اشتبك كارل ماركس وفولتير فى موضوع عصبة السلام ، واقتضى الأمر التعريض بهتلر وموسولينى ، ثم بالفاشية .

ثم يستدعى جيتى روح أحد الفاشيين من الأرض وهو نائم لكى يسأله عن مذهبه . وإذ يرى هذا الفاشى مارى ستيورت يقول : أسيدة فى حلقة رقص أو ربما كانت مغنية فى الأوبرا . والنساء فى إيطاليا بطون موسولينى وبلدن الأطفال فى أقصى سرعة — إلى غير ذلك من الحديث عن تربية الأطفال لأنه هو مدرب للأطفال وأنه يصوغهم كما يشاء موسولينى .

ثم يستدعى جيتى روح شخص نازى ويحتدم الجدال بين هذا النازى وفولتير ومارى ستيورت إلى أن يقول لهذه الملكة أى سلوك فجور ودعارة تسلك امرأة هنا . ما الذى تصنعينه هنا محفوفة بالرجال ... اذهبى واحملى أطفالا لوطنك والفوهرر ... وما قال كارل ماركس كلمة حتى كان ذلك النازى يصيح به : أيها اليهودى القذر !

ثم استدعى جيتى شيوعياً من نومه ، فجرى بينه وبين كارل ماركس جدال لا يسمح هذا المقال . فعلى القارئ أن يطالعه فى الكتاب الذى نحن بصدده . وفيما كنت أقترب فى هذا السفر النفيس إلى آخره كنت آسف أنه سينتهى وأنا لا أريد أن ينتهى لأنه كان آخذاً بمجامع لبى . فأشكر لصديقى الأستاذ على بك أدهم انتقاءه هذا الكتاب ونقله إلى العربية لمؤلفه العلامة الإسبانى سلفادور دى مادارياجا

نقولا الحداد



من روائع أدب القصة القصيرة الإنجليزية :

أولالا OLALLA

للكاتب الإنجليزى روبرت لويس ستيفنس

[روائى أديب اسكتلندى . ولد فى ادنبره فى ١٣ نوفبر ١٨٥٠ ودرس القانون فى أكاديمية ادنبره وجامعتها، ومارس المهنة، ثم انصرف عنها إلى الأدب . أول ما ظهر من آثاره الأدبية مقالاته فى مجلة (كورن هل) ١٨٧٤ . تجول فى أوربا وكتب كتباً عن رحلاته هذه ذهب إلى أمريكا عام ١٨٨٠ وتزوج بالمس ازبون الأمريكية . عاد إلى انجلترا وكتب فى ١٨٨٢ قصة (جزيرة الكنز) التى جعلت اسمه على كل لسان . وفى عام ١٨٨٦ كتب قصة (كدنابد) والقصة العجيبة التى سماها (الدكتور جاكيل والمستر هايد) وهى التى تضرب الأمثال بين الناس بها للرجل المخاتل ذى الشخصين المتنافرتين . وكتب قصصاً قصيرة كثيرة بين عام ١٨٨٤ — ١٨٨٧ . وفى هذا العام ذهب إلى أمريكا ، وساح فى المحيط الهادى ، واستقر به النوى فى (ساموا) ، وأخذ يرسل منها إلى انجلترا أروع القصص ، حتى وافته منيته بعيداً الوطن الوطن الرابع من ديسمبر عام ١٨٩٤ وهو مكب على كتابة قصته (weir of hermiston)]

تمهيد للقصة :

تقع حوادثها فى شمال أسبانيا فى قصر عظيم من قصور أشرافها قد عبث الفقر بجدرانه وسكانه عبثاً شديداً ؛ وتدور حوادث القصة بين أربعة أشخاص : أولهم شاب انجليزى فى ميعة العمر ، جميل الطلعة ، فى رجولته وجماله وشجاعته كل ما يحرك الحب فى قلب المرأة ويدلها — وهو جريح . وثانيهم شاب ريفى غير متعلم ، تبدو عليه دلائل البله وهو ابن السنيورة النبيلة صاحبة القصر . وثالثهم السنيورة نفسها ، وهى سيدة فى العقد الخامس من العمر ، تطل من وجهها آثار جمال ساحر ، وهى مصابة بالجنون . ورابعهم أولالا ، ابنة السنيورة ، وهى فتاة فى ربيعها الثامن عشر ، رائعة الجمال ، شاعرة ، وفيلسوفة ، ومتبتلة .

تلخيص القصة :

أخذت جراح الشاب الإنجليزى تتماثل للشفاء ، فقرر الطبيب إبعاده عن ضوضاء المدينة إلى مناخ جبلى جاف مدة شهرين ، واتفق مع عائلة أسبانية فى الريف على قبولها هذه المدة فى قصرها ، ولكن العائلة اشترطت سلفا أن لا يحاول هذا الإنجليزى التعرف على أفراد الأسرة ، أو التدخل فيما لا يعنيه من شؤونهم ، وقد كان هذا الشرط كافيا لرفضه الذهاب ، لولا أن الضرورة الصحية جملته يخضع لهذا اللون العجيب من حسن الضيافة وكرم الجوار !

وحضر فيليب ابن السنيورة لاستصحابه ، وأخذا طريقهما إلى قصر يبعد عن المدينة عشرين ميلا ، فى عربة أثرية يجرها جواد هزيل . لم يحاول أحدهما التحدث إلى صاحبه ، إنما كان فيليب يرفع عقيرته ، طيلة الطريق ، بغناء سمج لا يجرى فيه على قاعدة من أبسط قواعد ذلك الفن الجليل . واختفت ذكاء وراء الأفق ، تاركة خلفها على حواشيه ذيولا ممتدة هنا وهناك من نضار مصهور ، وأخذ الظلام يسحب رداءه فتبدو فى الظلمة موحشة تبعث الكآبة والخوف فى أحشائها إلى النفوس ... ولمحا ضوءاً بعيداً ما لبث أن ظهر أنه ينبعث من إحدى نوافذ القصر الذاهبين إليه .

وعلى مسافة يردات معدودات من القصر تركا العربة ، فى حراسة فلاح من خدم القصر ، واجتازا الباب الخارجى والردهات الداخلية حتى وصلا إلى غرفة قد وضع فيها سرير ، ومنضدة عليها نبيذ وطعام حار شهى ، وقد أضرمت فيها نار جعلت جوها دافئاً .

انصرف فيليب إلى بعض شؤونه ، وتناول الجريح الطعام ، وأوى إلى فراشه متعباً منهوكا وراح يسبح فى نوم هادىء عميق! وأفاق مبكراً . وأول ما دار بخلده أن يتعرف على ما حوله وعلى

كل شيء يجد السبيل إليه ، مدفوعا إلى ذلك بحب الاستطلاع الذي أثاره في نفسه شروط الأسرة البعيدة عن اللياقة . وأول ما بدأ به الغرفة التي يرقد فيها . أجال بصره فرأى صورة فتاة جميلة تدل ملابسها على أنها لا تعيش في هذا الزمن ، ولكن قسمات وجهها شديدة الشبه بملامح فيليب . أخذ يطيل النظر إليها وهو في كل مرة يشعر بأن الصورة توقظ في قلبه لونا غامضا من الحب ، إرتاح إليه وأنس به في هذه الوحشة ، وفي هذا المكان القفر من العطف والوجوه الجميلة .

ثم أخذ يقضي أوقات فراغه في لهو بريء : يبدأ من الصباح فيصعد التلال المجاورة ، ويدور بالغابات والجداول حتى يأخذ منه التعب مأخذه ، فيعود إلى غرفته غير متلفت إلى شيء حسب الاتفاق مع الطبيب ، إلا بمقدار ما هو ضروري لرؤية الطريق.

مل هذه الحياة الرتيبة وكرهها ، واستدعى فيليب إلى غرفته وأخذ يحدثه في لباقة وبراعة عن مواضيع بعيدة ، يدس في ثناياها أسئلة عن الأسرة وأحوالها ، ما لبث أن أغضبت فيليب فتركه دون أن يجيبه عن شيء منها .

غير أن ذلك لم يثبط عزيمته وصمم على أن يكتشف بنفسه كل شيء ، وأخذ في ذهابه وإيابه يتلفت يمينا ويسارا ، فرأى الجناح الذي تعيش فيه السنيورة . وبينما يهم بالخروج في صبيحة يوم مشمس جميل ، رآها جالسة في نور الشمس بالقرب من طريقه فحاول أن يتقدم إليها بالتحية ، ولكنه تذكر الشرط القاسي ، فمر بها ، وهي تتلفت إليه دون أن يرفع طرفه إلى مكانها ، غير أن الجرأة عاودته فحياها ، فردت له تحية جافة ، لا حياة فيها ورمقته بنظرة جامدة هادئة ، ظنها منبعثة عن كبرياء ... ولكنه أدرك بعد زمن أنها صادرة عن عقل غير سليم !

وألف صاحبنا السنيورة وألفته ، فكان يمر بها صباح مساء ، يرفع إلى مكانها تحياته ، وينطلق إلى رياضته وراء التلال أو يمر بفيليب وهو منهمك في أعماله الزراعية . لقد كان سلوك السنيورة السلبي غير مشجع له على التحدث إليها ، لذلك رغب في الابتعاد عنها .

وقد أدرك بفطنته أن في الأسرة مرضا وراثيا من الغباوة ، أو الجنون ، بدا له واضحا في عقل فيليب وسلوكه وفي عقل السنيورة وسلوكها . لقد سمع من الطبيب أن للأسرة فتاة في ريعان الصبا ، فحسبها من نوع والدتها وأخيها فاحتقرها وأمات الخيال الذي كان يود البحث عنها في شعوره !

واستمر في رحلاته القصيرة . ولكن الشيطان سول له في أحد الأيام أن لا يذهب إلى التلال البعيدة ، ولكن إلى داخل القصر ، واغتنم فرصة ذهاب فيليب إلى أعماله الزراعية ، وفرصة استسلام السنيورة إلى نوم لذيذ تحت أشعة الشمس ، وانسل إلى القصر ، وأخذ يدور في حجراته وصالاته الرحبة ، فبهره تخيل ما كان عليه هذا القصر من السؤدد والثراء ، وراح يغرق عواطفه في لجة من الفن تبدت في مئات الصور الرائعة لكبار الفنانين قد علقت هنا وهناك ، وقد أخذت يد التلف تشوه جمالها . واستمر في تجواله حتى وصل إلى مكان فيه أوراق مبعثرة وكتب قيمة ، بعضها أدبي ، وبعضها ديني ، والآخر فلسفي . وهي لكبار المؤلفين في اللغة اللاتينية . ومظهر الكتب يدل على كثرة استعمالها وامتدت يده تعبث بأوراق فوق كرسي ، فرأى شعرا قد كتب بقلم رصاصي وبخط أنيق جدا على ورقة ، يدل على براعة فنية وشاعرية فذة ، وإلهام خصب ، فعلم صاحبنا أن الغرفة التي هو فيها مخدع العذراء التي يبحث عنها ، وإنها هي الشاعرة الجميلة الفيلسوفة . أحس في أعماق نفسه بأنه اقترف جرما أخلاقيا بشعا لاستباحته مخدع فتاة خفية عنها وعن أسرتها كما يفعل اللصوص ، وتراجع مذعورا من تأنيب ضميره إلى قواعده في تلك الغرفة الكئيبة ، والشعر الرائع لا يزال يتردد في حنايا حسه وهو يقول لنفسه ، إن التي تنظم شعرا من هذا النوع لا تكون إلا ملاكا من ملائكة الرحمة وغير ممكن أن تكون مصابة بجنون .

وارتمى فوق سريره يفكر في الشعر وفي ناظمة الشعر ، ويحلم بلقائها ... وعبثا حاول صرف خيالها عن خاطره ، وعبثا حاول مقاومة تلك الرغبة المنيفة التي تدفعه دفعا إلى المودة للجناح الخاص الذي تعيش الشاعرة الشابة فيه من ذلك القصر الكئيب .

وأخذ طريقه بعد أيام إلى مكانها ... وفيما هو يهم بفتح الباب المؤدي إليه ، إذا بيد تفتحه وإذا به وجها لوجه أمام فتاة بارزة النهدين ، في عنفوان الصبا ونضارة الشباب . ما رأى لها شبيها في حياته ... تراجعت الفتاة قليلا مشدوهة ... وهي تكاد تلتهمه بنظراتها الحائمة ... وتراجع قليلا ، محمر الوجه خجلا من اكتشافه في ذلك المكان الخاص من القصر الذي لا يسمح له بالذهاب إليه ، وولى الأدبار إلى غرفته ، بعد أن ألقى نظرة طويلة

على الشاعرة الجميلة الشابة الساحرة ، وهى تلاحقه بنظراتها التى حملت إلى قلبه أولى رسائل الحب الجارف المنيف .

تغيرت حياة الشاب بعد هذا اللقاء ... أصبح لا يجد معنى للحياة إلا إذا رآها ... لا يشتهى الطعام ، ولا يجد النوم إلى جفنه سبيلا . وأحس فى نفسه أنه يتحول إلى مخلوق جديد لا يمت بصلة إلى الإنسان الذى كان يعيش فى جلده ...

أصبحت المروج الجرداء والتلال الوحشة والبرارى الصامتة روضة من رياض الجنة ... أنه يرى وجه أولالا فى كل ما تقع عليه عينه فى الدنيا ، فيرى كل شىء ساحرا جميلا . لقد أصبح عاشقاً .

وأفاق مبكراً ومر فى طريقه العادى فرأى وجه الشاعرة الجميل يطل عليه من مكان قريب ... فاندفع إليها مشدوها مذهولا ، ولكنها تراجعت قليلا وحاول أن يقول لها كلمة فرأى أن الكلمات تموت على شفتيه .. ففر منها متجها إلى التلال القريبة ... وجلس على صخرة تطل على قصر الحب والسعادة وأخذ يحلم بسعادة اللقاء ، ويضمد فى قلبه الجراحات العميقة التى خرج بها فى معركة النظرات فى صباحه . وبينما هو مذهول ، إذ لمح شبحاً يقترب من مكانه وراء الأشجار ... حدق طويلا . يكاد يجن ! لقد اقتربت ! إنها ... إنها أولالا ... أسرع بلاقيها مادا ذراعيه إليها فغابت معه فى قبلة طويلة وهى تبكى بكاء موجعاً عنيفا . ثم تدفعه فجأة وتفر منه كالمهاة التى يطاردها الصياد إلى سجنها فى القصر المتيد .

عاد إلى القصر يتبعها ، وهو كالمجنون ... إنه يريد أن يضمها إلى صدره مرة أخرى ، يريد أن يتحدث إليها . ولم يكد يدخل غرفته حتى وجد ورقة من نفس الورق الذى قرأ القصيدة فيه قد كتبت بنفس الخط ، تطلب منه أن يرحمها إن كان يحبها ، بمغادرة القصر فى اليوم التالى .

كان يقدر أن يمر به كل هول فى الحياة ، بعد ما حمل قلبه حباً من هذا النوع ، فلا يأبه له ، ولكنه ما قدر أن تطلب إليه أولالا ... أولالا التى أحبته وأحبها حباً جنونياً ، أن يغادرها حالا وتستحلفه باسم الحب أن يفعل . أنه لا يحتمل ذلك . أراد أن يخادع الواقع بالكذب زاعماً أنها لم تطلب ذلك منه ، وأنه يحلم ... ولكنه يرى أن خطها وأسلوبها الشعرى ودموعها وراء كلماتها ... إنه أمام الحقيقة المرة ... أنه لا يقوى على ذلك ...

وأسرع نحو النافذة يريد التخلص من الحياة ولم يفطن إلى أنها موصدة فاصطدمت ذراعه بالزجاج فجرحت جرحاً بالغاً تصبب منه الدم بغزارة ... فصرخ وأسرع نحو أولالا ... فصادفته السنيورة فطلب مساعدتها . لقد هاج منظر الدم المتدفق جنونها المكبوت فاندفعت إلى ذراعه تعضها كالحيوان المفترس عضاً أليما وهى تصرخ صراخاً منكراً وصل إلى مسامع أولالا وفيليب فأسرعا وأنقذا حياته واحتملاه إلى غرفته. وراحت أولالا تضمد جراحاته وتصلى وهى دامعة العينين ... وأفاق بعد لأى فوجد أولالا منفردة إلى جانبه تمرضه وتسهر عليه وهى تبكى راكعة أمام سريره ، فتناول يدها وغمرها بقبلاته وبللها بدموعه . وعلى حين فجأة تترك الغرفة ، فيدخل فيليب ويحمله إلى مدخل القصر ويوصله فى عربته إلى دير قريب .

قضى صاحبنا فى الدير الجديد أياماً اندملت فيها جراح ذراعه ، ولكن ما تزال جراح قلبه دامية . وأخذ بعد أن استرد قسما من عافيته يتردد على جبل منيف يطل من مسافة بعيدة على قصر أولالا . كان يجد عزاء كبيراً فى الجلوس على قمة ذلك الجبل .

وكثر تردده على ذلك المكان ، وكانت فى قمته صخرة وجد الراحة والعطف فى قلبها الجلمود ... واستغرق فى أحد الأيام فى ذهول عاطفى جعله كالميت لا يتأثر مما حوله ولا يحس بوجود نفسه. وفتح عينه فجأة وحلق...وعاد إلى وعيه فرأى .. وحسب نفسه فى حلم ... ولكن التى يراها أولالا ... أولالا جاءته بنفسها تبتسم إليه ... لقد تلاقيا ... عجبت أولالا من رؤيته فى تلك القمة — ولكنها كانت تعرف ذلك وتعمدت المجىء — ، وتظاهرت بالعتب عليه لبقائه قريباً منها حتى ذلك الوقت — وقالت له إن قصة حبهما قد تحدث بها القاصى والدانى — وأن الناس قد نذروا قتله وقتلها. وجثت على الأرض واستغرقت فى صلاة عميقة وهو يدعو الله أن يلهمه ويلهمها الصبر والرحمة . وودعته بعد أن قالت له إنها راهبة ، وقد وضعت حب الله بينه وبينها .

وعاد إلى ديره وقد أخذ اليأس من نفسه كل مأخذ : إنه لن يراها بعد اليوم .

لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى ... لو أنا وجدنا من فراق لها بدا
كفى حزناً أن رحت لم أستطع لها ... وداعا ولم أحدث بساكنها عهدا

المسيب — العراق

على محمد سرطاوى

مدرس الإنجليزية فى متوسطة المسيب

مطبعة الرسالة